شرح المقدمة الأدبية

لشرح الإمام المرزوقي
على ديوان الحماسة لأبي تمام

الأستاذ الأكبر الشيخ
محمد الطاهر ابن عاشور

الدار العربية للكتاب

شرح المقدمة الأدبية

لشرح الإمام المرزوقي
على ديوان الحماسة لأبي تمام

الأستاذ الأكبر الشيخ
محمد الطاهر ابن عاشور

الدار العربية للكتاب
ليبيا - تونس

الطبعة الثانية

جميع الحقوق محفوظة ـ الدار العربية للكتاب

ليبيا ـ تونس ١٣٩٨/١٩٧٨

شرح المقدمة الأدبية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ان المقدمة التي دبجها الامام المرزوقي [1] لشرحه على ديوان الحماسة اختيار ابي تمام . تعتبر خير رائد لمنتهج روض الفصاحة . وابصر مقدمة لجحفل البلاغة . تفتح لمقتفيها ما استعصت به خفايا النكت من الصياصي . وتمكن بيد متقنها من جياد السبق اجفل النواصي . اذ كانت احاطت بمعاقد الادب . وتعاطت بمحجتها افنانه فتدلى يانع ثمره واقترب . وقد كنت اهتممت بتدبرها فقدرت قدرها . وتبينت نفاستها في صناعة الادب وخطرها . ثم طواها الذهن ببسط مسائل اخرى . وثنى عنان طرفه فأطلق له في ميادين فسيحة وأجرى . وكانت غير متداولة بأيدي الادبا . وكان الشرح

(١) هو احمد بن محمد ابن الحسن المرزوقي الاصبهاني توفي في ذي الحجة سنة ٤٢١ ترجمه ياقوت في ارشاد الاريب وقال انه اخذ عن ابي علي الفارسي وذكر له كتباً منها شرح الحماسة قال وهو يتفاصح في تصانيفه كابن جني وكان معلم اولاد بني بويه بأصبهان وقلت لم اقف على وجه نسبة المرزوقي .

كله قد انزوى في الخزائن واختبا .فلما نشر الشرح مكللاً بجواهرها، وآن ان يتشوقوا لاستجلاء مخابرها . هز ذلك من عطفي وحرك سواكني الى مراجعة عهد مضى . فأصدق عزما قديماً وغرضا . هو العزم على ان اعلق على هذه المقدمة القيمه . واسرح اليهـــا جواد الذهن واسومه .

فانها جديرة بشرح ينشر مطاويها الوفيرة الاغراض . ويصدق شيم من اتبع صوب بروقها المتكررة الايماض . اذ هي مـــن قبيل اللمحة الدالة . والخريدة الملتحفة غير المتجالة . نهي خليقة بفسر كثير من معانيها اذ كانت مفرغة في دقة صياغة . ولو اخذت على غرها لم يدرك غورها سوى الراسخين في البلاغة . فعنيت بتوضيح دقائقها واكتفيت في بعض المواضع بالحوالة على كتب الادب . واني حين حللت بالاستانة في اواخر عام ١٣٧٠، ورأيت خزائن كتبها الثرية ، كان مما لفت نظري نسخة تامة من شرح المرزوقي من مكتبه كوبوللي باشا تحت عدد ١٣٠٨ وهي نسخة عتيقة نسخت سنة ٦٧٦ بهـــا ورقات ٤٢٠ في القالب الربعي . وقد حصلتُ منهـــا على شريط فتغرافي . ولم يكن عندنا بخزائن تونس إلا نسختان من جزء اول منه ،وهو تجزئة خمسة ، حوتهما مكتبة الجامع الاعظم عدد ٤٥٣٤ وعدد ٤٥٣٥ .

شرح المقدمة

قال الامـــام المرزقي :

(وبعد فانك جاريتني اطال الله بقاءك في اشمل سعادة واكمل سلامة لما وجدتني اقصر ما استفضله من وقتي واستخلصه من وكدي على عمل شرح الاختيار المنسوب الى ابي تمام حبيب ابن اوس الطائي المعروف بكتاب الحماسة ـ أمرَ الشعر وفنونه.)

الخطاب لمن سأله تحقيق ما تضمنته هذه المقدمة و يظهر أن هذا المخاطب هو ايضاً قد سأله شرح اختيار ابي تمام، او انه حرضه على اتمامه لأن المؤلف في خاتمة الشرح[1] قد سهل الله وله الحمد تعلى جده بلوغ المنتظر من تتميم شرح هذا الاختيار والله بمنه وطـوله ينفعك وايانا به ويعينك على تفهمه الخ . وفيما حكاه المرزوقي عن هذا المخاطب من السؤال ما يدل على انـه من الممارسين لـلأدب الواقفين على جياده ولكنه لم يبلغ مبلغ ايمة علم الأدب والنقد فلذلك أوى الى المرزوقي في كشف حقائقها اذ كان المرزوقي يلقب بالامام .

وقوله جاريتني هكذا ثبت في جميع النسخ ومعناه حادثتني فيه قال في لسان العرب وجاراه الحديث وتجارَوا فيه اهـ ، فاستعيرت

(١) عن نسخة الاستانة

المجاراة تمثيلاً لحال المتحادثين بحال الفارسين يجريان . ومن هـذا القبيل قولهم تساجلا الشّعر وتسايرا المحادثة ، وقد أعاد المؤلف هـذا اللفظ في خاتمة الشرح اذ قال «فاني لم ادركه إلا بمجـاراة لشيوخ الصناعة فيه » .

وقول المؤلف (اقصر) بهمزة مفتوحة وقاف و بضم الصاد اي ارد واحبس يتعلق به قوله (عَلَى عمل شرح) و (الوكد) بفتح الواو وسكون الكاف هو الهم والقصد وقوله (امر الشعر) كذلك ثبت في اكثر النسخ وفي نسخة ذكرها الناشر في امر الشعر وهي الاولى وعلى ما في معظم بقية النسخ يكون امر الشعر منصوباً على نزع الخافض .

(وابو تمام) من شعراء الدولة العباسيةفي خلافة المعتصم والمتوكل امتاز بطريقة ابتكرها في الشعر وهي طريقة تدقيق المعاني وتكثيرها ولو اداد ذلك الى شيء من الخفاء في استفادتها من اللفظ، واخذ عنه البحتري . وتوفي بالموصل سنة ٢٢٨ وقيل سنة ٢٣١وقيل سنة ٢٣٢ وديوانه مشهور . وجمع ديوانه الحماسة وهو واضح الشهرة في الادب العربي اشتمل على عشرة أبواب من فنون الشعر اولها باب الحماسة وهو الذي دعي به، جمع فيه قطعاً للشعراء غير المشهورين. وله اختيار ترجمة بالقبائلي .اختار فيه قطعاً من محاسن اشعارالقبائل وله الاختيار القبائلي الاكبراختار منه من كل قصيدة وله اختيار الشعراءالفحول

واختيار على طريقة ديوان الحماسة صدره بباب الغزل .

●

قال المؤلف (**وما نال الشعراء في الجاهلية وما بعدها وفي اوائل ايام الدولتين واواخرهما من الرفعة به**) ترتيب هذه الفقرات في اكثر النسخ كما رأيت هنا وفي نسخة واحدة من النسختين بتونس مغايرة لهذا اذ وقعت فقرة من الرفعة به عقب فقرة وما نال الشعراء وذلك احسن مما في النسخ الاخرى ووقع قوله ـ وفي اوائل ـ في احدى نسختي تونس مجرداً عن واو العطف وهو احسن اذ يكون قوله اوائل الدولتين بدلا من قوله وما بعدها اي بعد الجاهلية فيكون عصر النبوة وعصر الخلفاء الأربعة غير داخل . وأما النسخ التي فيها إثبات الواو فهي تقتضي ان يكون المراد بما بعد الجاهلية مدة زمن صدر الاسلام وليس للشعراء في صدر الاسلام رفعة بل كان الشعراء قد هجروا الشعر مثل لبيد ابن ربيعة العامري إلا ان يكون المقصود الشعراء الذين ذبوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة .

وقوله ـ واواخرها ـ وقع في إحدى النسختين التونسيتين واواخرهما بالتثنية والمراد واخر مجموعهما اي اواخر الثانية منهما (**اذ كان الله قد اقامه للعرب مقام الكتب لغيرها من الامم**) .

أراد بالكتب كتب العلوم والتاريخ لان العرب امة امية

امتازت بالفطنة في السجية فكان شعرها ترجمان ذكائها وديوان آرائها (**فهو مستودع ادبها ومستحفظ انسابها ونظام فخارها يوم النفار**) النفار بكسر النون مصدر نافر غيره اذا خاصمه في الشرف والفخر فتحاكما في ذلك الى حكم (**وديوان حجاجها عند الخصام ثم سألتني عن شرائط الاختيار فيه وعما يتميز به النظم عن النثر وما يحمد او يذم من الغلو فيه او القصد من قواعد الشعر التي يجب الكلام فيها وعليها**) وفي احدى نسختي تونس — لها وعليها — وهما اظهر (**حتى تصير جوانبها محفوظة من الوهن واركانها محروسة من الوهي اذ كان لا يحكم للشاعر او عليه بالاساءة او بالاحسان الا بالفحص عنها وتأمل مأخذه منها ومدى شأوه فيها**) المدى الغاية . والشأو السبق اي منتهى ما سبق فيه شاعر غيره من الشعراء .

(**وتمييز المصنوع مما يحوكه من المطبوع والاتي المستسهل من الابي المستنكر**) .

سيأتي للمؤلف ذكر المصنوع والمطبوع بعد ذكر الابواب السبعة التي هي عمود الشعر ونشرحه هنالك . والاتي ما يطلبه الساقي الى ارضه من السيل او النهر بان يحفر له حفيراً يجري فيه الماء قال النابغة يذكر جارية ضربت في الارض حفيراً بالمسحاة لصرف الماء عن بيت اهلها .

خلت سبيل أتي كان يحبسه ورفعته الى السجفين فالنضد

والمؤلف اراد بالآتي السهل استعار اليه لفظ الآتي لمشابهته في انه يأتي بدون معالجة ولذلك اتبعه بوصف المستسهل وصفاً كاشفاً وقد اتبعه فيما يأتي بوصف السمح .

والابي فعيل من امثلة المبالغة واصله الرجل المتعاصي غير المطواع وقد استعاره المؤلف للكلام الذي يبدو عليه التكلف ولذلك اتبعه بوصف المستنكر والمستكره واتبعه فيما يأتي بوصف الصعب .

وقضيت العجب كيف وقع الاجماع من النقاد على انه لم يتفق في اختيار المقطوعات انقى مما جمعه ولا في اختيار المقصدات اوفى مما دونه المفضل ونقده . وقلت ان ابا تمام معروف المذهب فيما يقرضه مألوف المسلك فيما ينظمه نازع في الابداع الى كل غاية حامل في الاستعارات كل مشقة متوصل الى الظفر بمطلوبه من الصنعة اين اعتسف وبماذا عثر متغلغل الى توفير اللفظ وتغميض المعنى اني تأتى له وقدر وهو عادل فيما انتخبه في هذا المجموع عن سلوك معاطب ميدانه ومرتض ما لم يكن بمايموغه في امره وشأنه فقد فليته فلم اجد فيه ما يوافق ذلك الاسلوب الا اليسير ومعلوم ان طبع كل امرىء اذا ملك زمام الاختيار يجذبه الى ما يستلذه ويهواه ويصرفه عما ينفر منه فلا يرضاه) .

قضيت العجب كلمة جرت مجرى المثل معناه تعجبت العجب القوي لانه اذا تعجب عجباً قوياً فكأنه قضاه اي اداه واتمه ومنه قضى وطراً قال الحريري في المقامة وقضيت العجب مما رأيت

— **والمقطوعات** القطع من الشعر المختارة من قصائد او التي من اول الامر قطعاً قصيرة من الشعر وتسمى مقاطيع جمع مقطوع وتسمى قطعاً جمع قطعة وهي ما كان من الشعر اقل من ستة عشر بيتاً . ووصف ديوان الحماسة بذلك باعتبار غالبه وان كان قد يوجد فيه ما يزيد على ستة عشر بيتاً من قصائد كاملة او بعضها **والمقصدات** جمع المقصدة وهي القصيدة وجمعها قصائد واسم الجمع قصيد وقد يطلق القصيد على القصيدة باعتبار الجنس والقصيدة طائفة من الشعر زائدة على خمسة عشر بيتاً وهذه الاسماء مشتقة من القصد لان قائلها قصدها واعتمدها فاما المقصدة فان الشاعر جعلها قصيدة وما دون القصيدة يسمى قطعة . والذي دونه المفضل هو الديوان المعروف بالمفضليات يشتمل على مائة واربع وعشرين قصيدة اختارها اجابة لرغبة ابي جعفر المنصور لفائدة ابنه المهدي وجامعها هو المفضل بن محمد بن يعلي الضبي الكوفي الراوية اللغوي توفي سنة ١٦٨ وعلى المفضليات شرح للمرزوقي ذكره ياقوت .

وقوله « الى كل غاية » اي الى غايات كثيرة فان كلمة كل تستعمل في الكثرة للمبالغة دون قصد الشمول كقول النابغة :

بها كل ذيال وخنساء ترعوي الى كل رجّاف من الرمل فارد

وفي القرآن — وجاءهم الموج من كل مكان — ووقع في نسخة

الاستانة « اكمل » عوض كل وهي ظاهرة

وقوله فقد **فليته** : وقع في احدى النسختين التونسيتين **قلبته** بقاف ثم لام مشددة ، ثم موحدة وهي احسن استعارة من فلينه لان الفلي هو البحث عن القمل في الرأس فهو كلمة مرذولة ينبو الادباء عن استعارتها كما سيأتي . والتاء المضمومة وهي تاء التكلم حكاية لقول المخاطب المحكي انفاً بقوله : « وقلت ان ابا تمام الخ » **والأسلوب** بضم الهمزة الطريق وهو في الاصطلاح منقول للطريقة المخصوصة من الكلام البليغ كقولهم في الالتفات انه انتقال من أسلوب الى أسلوب اي من طريقة الخطاب الى طريقة الغيبة مثلاً وقولهم الاسلوب الحكيم هو تلقي المخاطب بغير ما يترقب.

(وزعمت بعد ذلك اجمع انك مع طول مجالستك لجهابذة الشعر والعلماء بمعانيه والمبرزين في انتقاده لم تقف من جهتهم على حد يؤديك الى المعرفة بجيده ومتوسطه ورديئه حتى تجرد الشهادة في شيء منه وتبت الحكم عليه او له آمنا من المجاذبين والمدافعين) **المجاذبون** اصحاب المجاذبة وهي مفاعلة من الجذب للشيء اي ادنائه باليد لأخذه فالمجاذبة ان يجذب كلا الشخصين شيئاً واحداً كلاهما يطلب اخذه لنفسه والمراد بها هنا تمثيل للمحاجة والاستدلال فكل يظهر

ان الحق في جانبه وهي من شعار اهل العلم في محادثاتهم ومناظراتهم. قال الزمخشري في ديباجة الكشاف : في صفة من يستأهل أن يفسر القرآن « قد رجع زماناً ورجع اليه . ورَد ورُد عليه » .

واما **المدافعة** فهي مفاعلة ايضاً وهو ابعادك الشيء عن جهة ما؛ فالمدافعة مراد بها ابطال دليل الخصم عند المناظرة فمن المدافعة المنع المجرد والمنع بالسند في قواعد الجدل وبقية الاعتراضات على الادلة وكلها راجعة الى المنع . واعلم ان المؤلف قد بين المجاذبة في آخر هذا الشرح بقوله « لا انسى مجاذباتي فيها متى كان في القول امكان وللتحصيل ارصاد ولسهم النضال تسديد وفي قوس الرمي منزع ».

(بل تعتقد ان كثيراً مما يستجيزه زيد يجوز ان لا يطابقه عليه عمرو)

الذي في النسختين التونسيتين ونسخة الاستانة يستجيده بدال عوض الزاي وهي احسن معنى ولفظاً .

ومعنى « لا يطابقه » لا يوافقه مأخوذ من الاطباق وهذه المادة تؤذن بالمساواة ومنه الطّبق وهو غطاء الاناء لانه يجعل بمقداره ومنه ايضاً الانطباق .

(وانه قد يستحسن البيت ويثني عليه ثم يستهجن نظيره في الشبه لفظاً ومعنى حتى لا مخالفة فيعرض عنه اذ كان ذلك

موقوفاً على استحلاء المستحلي واجتواء المجتوي) – الاجتواء بالجيم افتعال من الجوى وهو الداء الباطني ، والمراد بالاجتواء هنا الكراهة ونفور الطبع واصله عدم ملاءمة الجو للساكن فيه وفي حديث النفر من عكل وعرينة « انهم اجتووا المدينة » اي استوخموا جوّها اذ كانوا من اهل بادية وصيغة الافتعال هنا للمطاوعة.

(وانه كما يرزق الواحد في مجالس الكبراء من الاصغاء اليه والاقبال عليه ما يحرم صنوه وشبيهه مع انه لا فضيلة لذلك ولا نقيصة لهذا الا ما فاز به من الجد عند الاصطفاء والقَسْم) اي وان ذلك يشبه ما يرزق الشخص من الاصغاء اليه — وقوله ما يحرم صنوه كذا في جميع النسخ وهو من حذف عائد صلة الموصول اذ كان منصوباً بفعل وهو كثير فالتقدير ما يحرمه — **والجد** بفتح الجيم الحظ والبخت . **والقسم** بفتح القاف وسكون السين مصدر بمعنى اسم المفعول وهو ما يقسم للمعطَى بفتح الطاء من العطاء قال الأعشى : ويقسم امر الناس يوماً وليلة – والقسم في كلام المؤلف معطوف على الاصطفاء — والمعنى انك تتوهم ان سبب التفاضل بين البلغاء تابع لميل الاعيان الى بعض البلغاء دون بعض بسبب اجتباء المايل الممال اليه اجتباء ناشئاً عما للممال اليه من البخت الذي قدّره الله له .

(وقلت ايضاً اني اتمنى ان اعرف السبب في تأخر الشعراء

عن رتبة الكتاب البلغاء والعذر في قلة المترسلين وكثر المفلقين والعلة في نباهة اولئك وخمول هؤلاء ولماذا كان اكثر المترسلين لا يفلقون في قرض الشعر واكثر الشعراء لا يبرعون في انشاء الكتب حتى خص بالذكر عدد يسير منهم مثـــل ابراهيم ابن العباس الصولي وأبي علي البصير والعتـابي في جمعهم بين الفئتين واغترازهم ركاب الظهرين ونظام البلاغة يتساوى في اكـــثره المنظوم والمنثور) .

هذا تمام مجاراة المخاطب المحكية في قول المؤلف « فانـك جاريتني » وقوله « ثم سألني » وقوله « وقلت » وقوله «وزعمت» ثم قال « وقلت » ووقع في كلام المؤلف « والعذرَ في قلة المترسلين وكثرة المفلقين » .

فالمترسلون هم اصحاب الترسل وهو صنـاعة انشاء الكلام النثري فان الانشاء : يطلق عليه اسم الترسل اطلاقاً شائعاً وقد سمى شهاب الدين محمود الحلبي كتابه في صناعة الانشاء حسنَ التوسل الى صناعة الترسل .

والمفلقون بضم الميم وكسر اللام هم فحول الشعراء يقال أفلَقَ الشاعر اذا نبغ في الشعر وهذا اللفظ مشتق من الفِلق بكسر الفاء وسكون اللام وهو الشيء العجيب وهذا اللفظ من الكلمات التي ذهل عن اثباتها صاحب الصحاح وصاحب القاموس وذكر المؤلف

ثلاثة ممن خص بالذكر من شعراء الكتاب — وقد بوب ابن رشيق في العمدة باباً لاشعار الكتاب فذكر الصّولي وبعضاً من جيد شعره وذكر ايضاً محمد ابن عبد الملك الزيات . والحسن ابن وهب . وسعيد بن حميد الكاتب . وذكر الوزير ابا الحسن بن الخلال المهدوي وزير بني عُبيد. وأزيد من شعراء الكتاب لسان الدين بن الخطيب السلماني الاندلسي .

والصولي منسوب الى صُول بضم الصاد ضيعة من جرجان وهو تركي الاصل نشأ في الدولة العباسية في مدة المعتصم واتصل بالوزير الفضل ابن سهل وتوفي سنة ٢٤٣ له نثر بليغ وشعر رقيق غير طويل ترجمه ياقوت في ارشاد الاريب .

وابو علي البصير هو الفضل ابن جعفر النخعي الكوفي الضرير سكن بغداد في خلافة المعتصم ؛ شاعر وكاتب توفي سنة ٢٥٥ ترجمه الصفدي .

والعتابي بعين مفتوحة ومثناة فوقية مشددة هو كلثوم بن عمر العتابي منسوب الى بني عتاب من بطون تغلب ولد بالشام وسكن بغداد واختص بالبرامكة ومدح الرشيد وهو شاعر مجيد وكاتب حسن الترسل توفي سنة ٢٢٠ ترجمه في ارشاد الاريب ونظير ما ذكر فيمن جمع الشعر والترسل ما ذكره الجاحظ فيمن جمع الشعر والخطابة وعد

منهم بضعة عشر في كتاب البيان والتبيين [1] .

وذكر المؤلف لفظ الخمول وهو بضم الخاء المعجمة مصدر خمل اي سقط وهو مستعار لعدم الشهرة :

(وانا انشاء الله وبه الحول والقوة اورد في كل فصل من هذه الفصول ما يحتمله هذا الموضع ويمكن الاكتفاء به اذ كان لتقصي المقال فيه موضع آخر من غير ان انصُبَ لما تصوره النعوتُ الامثلةَ تفادياً من الاطالة لانه اذا وضح السبيل وقعت **الهداية بأيسر دليل . والله عز وجل الموفق للصواب وهو حسبنا ونعم الوكيل)** انصُب بضم الصاد مضارع نصب الشيء اذا رفعه واظهره ومنه سمي التمثال من الحجر نَصْباً تسمية بالمصدر واستعار المؤلف هذا الفعل لمعنى اذكر وابيّن **النعوت** فاعل تصوره — **والامثلةَ** مفعول انصب ومراده بالنعوت التوصيفات الموضحة للحقائق والقواعد التي توضع لطرق النقد والاختيار — **والتفادي** التجنب والتحامي **(اعلم ان مذاهب نقاد الكلام في شرائط الاختيار مختلفة وطرائق ذوي المعارف بأعطافها وارادفها مفترقة وذلك لتفاوت اقدار منادحها على اتساعها وتنازح اقطار مظانها ومعالمها ولان تصاريف المباني التي هي كالاوعية . وتضاعيف المعاني التي كالأمتعة في المنثور اتسع مجال الطبع فيها**

(١) صفحة «٥» جزء طبع المطبعة الرحمانية بالقاهرة سنة ١٣٤٥

مكان الذهاب اي الطريق وتطلق كثيراً على الآراء والافكار وانما سموها مذاهب لأنها كالطرائق يذهب فيها الفكر فمثلوا حركة الفكر في معلومات خاصة بمشي الماشي في طرائق معينة . فهذا الاطلاق استعارة ثم شاع عند اهل العلوم فصار حقيقة عرفية علمية في مجموع المسائل العلمية النظرية التي أخذ بها طائفة من علماء علم ما ؛ فيقال : مذهب مالك ومذهب ابي حنيفة ويقال مذهب البصريين ومذهب الكوفيين من النحاة **والأعطاف** بفتح الهمزة جمع عِطف بكسر العين وسكون الطاء وهو قارعة الطريق ـ **والأرداف** بفتح الهمزة جمع ردف بكسر الراء وسكون الدال وهو التابع الموالي وكأنه اراد بها ارداف الاعطاف اي الطرق المتفرعة عنها فصار ذانك اللفظان استعارتين لأصول اساليب الانشاء ولما يتبع تلك الأصول من المحسنات كما سيشير اليه قوله الآتي «ومنهم من لم يرض بالوقوف على هذا الحد ـ وقوله ـ ومنهم من ترقى الى ما هو اشق» قال السكاكي في مفتاح العلوم عند انتهاء كلامه على محسنات البديع « واصل الحسن في جميع ذلك ان تكون الألفاظ توابع للمعان. اعني ان لا تكون متكلفة » ؛ **والمنادح** بفتح الميم جمع مَندُوحة وهي الأرض المتسعة **والتنازح** مصدر بمعنى التباعد مشتق من نزح عن المكان اذا بعد **والأقطار** جمع قُطر بضم القاف وسكون الطاء وهو الناحية

المعينة من الأرض والبلدان **والمظان** جمع مَظِنة بفتح الميم وكسر الظاء على خلاف القياس في بناء اسم المفعلة اي المكان الذي يُظَن وجود شيء فيه **والمعالم** جمع معلَم بفتح اللام وهو اسم المكان الذي يُعلم انه كان منزل قوم ومعالم القوم منازلهم التي بها آثارهم وهي مشتقة من العلم فلذلك حسن جمع المؤلف بينها وبين المظان ايماءً الى مراتب المعرفة بين علمٍ وظنٍ فاراد بالمظان القواعد النظرية التي انتجها الظن وبالمعالم القواعد القطعية التي هي قواعد الفن الناشئة عن استقراء الأدب العربي — وعلى — من قوله : على اتساعها — هي بمعنى مع، وهو معنى يعرض كثيراً لحرف على، يعني ان تفاوت الأقدار تابع لاتساع اساليب الأدب ولمقدار احاطة الأديب بتلك الأساليب وذلك ان حق «مع» ان تدخل على المتبوع فكذلك «على» التي هي بمعناها. **والتصاريف** جمع تصريف وهو التغيير اي تغيير المتكلم كلامه من اسلوب الى اسلوب ومن كيفية الى اخرى بحسب اختلاف مواقعه فالمراد تغيير طريقة الكلام التي يسلكها بان يسلك مرة طريقة واخرى طريقة غيرها لا تغيير الكلام الواحد وتبديله وعرف عبد القاهر [1] الأسلوب بقوله «والأسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه» واطلاق التصريف على ذلك من اطلاق المصدر على اسم

(١) ص ٣٣٨ دلائل الاعجاز طبع مطبعة المنار .

المفعول كالخلق يعني المخلوق **والتضاعيف** جمع تضعيف وهو تكرير الشيء واراد بها الفنون الكثيرة فجمعها لأن كل فن في الكلام هو كتكرير للجنس الأعلى أعني جنس الخصوصيات البلاغية فانه تكرير مظاهر لا تكرير شيء معين . وقوله «اتسع مجال الطبع الخ» هو خبر عن قوله« ولأن تصاريف المباني الخ »

والطبع الوجدان الذهني والمراد به هنا وجدان البليغ وطبعه وهو المسمى عندهم بالذوق وهو الذي يحصل للبليغ من ممارسة كلام البلغاء ومن تطبيق القواعد والضوابط التي يتلقاها في تعلم الصناعة حتى تحصل له ملكة تتميز بها عنده اصناف الكلام في الجودة والرفعة ودونها بحيث يحكم بأن هذا الكلام حسن وهذا احسن وهذا دون ذلك . قال الجاحظ [(١)] «والانسان بالتعلم و بطول الاختلاف الى العلماء ومدارسة كتب الحكماء يجود لفظه و يحسن ادبه وهو لا يحتاج في فساد البيان الى اكثر من ترك التخير» .

وقال السكاكي [(٢)] ــ ليس من الواجب في صناعة ان يكون الدخيل فيها كالناشيء عليها في استفادة الذوق منها فكيف اذا كانت الصناعة مستندة الى تحكمات وضعية واعتبارات الفية ــ ثم قال :

---

(١) في البيان والتبيين صفحة ٧٤ ــ ٥ ــ ٤ جزء اول طبع المطبعة الرحمانية بمصر .

(٢) في القسم الثالث من المفتاح في القانون الاول من الفصل الاول منه .

وقد كان شيخنا الحاتمي [1] ذلك الامام الذى لن تسمح بمثله الادوار ما دار الفلك الدوّار يحيلنا بحسن كثير من محسنات الكلام اذا راجعناه فيها على الذوق ونحن حينئذ ممن نبغ في عدة شعب من علم الأدب أه ـ وبهذا يتضح ان الذوق والطبع مترادفان ولذلك تسمع ايمة الادب يقولون «هذا يشهد به الذوق السليم والطبع المستقيم» ونحو هذه العبارة .

والمجال مكان الجولان وهو الطواف .

والمسرح مكان السروح وهو انطلاق الانعام في المرعى ـ وقد اشار المؤلف الى جهة الاختلاف الاولى اذ قال «وذلك لتفاوت اقدار مناذحها على اتساعها وتنازح اقطار مظانها ومعالمها» .

واشار الى معذرتهم في التحير في تعيين مدخل الاستحسان وصده بقوله «ولأن تصاريف المباني التي هي كالأوعية وتضاعيف المعاني التي هي كالأمتعة — الى قوله — ومطرحه»

واراد المؤلف بهذين مواضيع المعاني البلاغية التي يعمل فيها الفكر لاستخراج دقائقها .

والمراد بضم الميم موضع رياد الإبل وهو تنقلها في المرعى مقبلة

(١) الحاتمي هذ اقف من ترجمته على سوى انه يلقب بشرف الدين وانه تلميذ عبد القاهر الجرجاني وانه شيخ السكاكي وقد ذكره السكاكي في المفتاح غير مرة وهو غير الحاتمي عصر المتنبي الذي الف كتاب نقد المتنبي .

ومدبرة .

والمَطْرح مكان الطرح أي البعد وكل هذه تفننات من المؤلف في التعبير .

وقوله «في المنثور» يتنازعه تصاريف وتضاعيف وانما قيد موضوع بحثه هذا بالكلام المنثور لأنه سيخص الشعر ببحث آخر يجيء عند قوله «وكان الشعر قد ساواه» .

ومعنى كلام الامام المرزوقي ان تنوع كيفيات مواقع الكلام البليغ مع دلالته على المعاني التي يقصد اليها البلغاء قد كان تنوعاً يتجاذبه اعتبار الفاظ الكلام واعتبار المعاني التي قصدها البلغاء من صناعتهم في البلاغة وانه الذي كان سبباً في اختلاف اذواق علماء الأدب في شروط محاسن ايقاعها اختلافاً ناشئاً عن اختلاف اميال الناقدين والمختارين بحسب ما اعتادوه من ممارسة ما يعجبون به ويروق لديهم من نتائج اهل اللسان .وهم مع ذلك متحيرون في تعيين سبب مدخل الاستحسان او ضده الى اذواقهم سواء من جهة اللفظ أم هو من جهة المعنى ويوضحه قوله : فمن البلغاء الخ .

وقد أشار المؤلف الى جهة الاختلاف الأولى اذ قال « وذلك لتفاوت أقدار مناحيها على اتساعها وتنازح اقطار مظانها ومعالمها»

وأشار الى معذرتهم عن التحير في تعيين مدخل الاستحسان

وضده بقوله «ولأن تصاريف المباني التي هي كالأوعية وتضاعيف المعاني التي هي كالأمتعة الى قوله ـ ومطرحه »

وليس مراد اصحاب هذا المذهب اهمال الالتفات الى جانب المعاني ولكنهم جعلوا الاهتمام بالألفاظ في الدرجة الأولى فاول ما يقصد من اهتمام البليغ عند اهل هذا المذهب هو الكلام الذي هو قوالب المعاني كما أفصح عنه المرزوقي في آخر كلامه بقوله « فاكثر هذه الابواب لاصحاب الالفاظ اذ كانت المعاني بمنزلة المعارض للجواري فارادوا ان يلتذ السمع بما يدرك منه ولا يمجه ويتلقاه بالاصغاء اليه والاذن له فلا يحجبه » ثم بقوله « من البلغاء من قصد فيما جاش به خاطره الخ » وحاصل ما اشار اليه المؤلف اختلاف ائمة النقد في تعيين الناحية للكلام التي منها يكون فضله او ضده وبها يستحق اختياره او رده .

وسبب هذا الاختلاف في مرجع التفضيل ان اهل النقد والاختيار وجدوا في انفسهم ادراكاً للتفاضل بين كلامات البلغاء تفاضلا توافقوا عليه في الغالب واختلفوا فيه تارات بين مختار ومنتقد فايقنوا انهم ما اتفقوا على الكلام الذي اتفقوا على تفضيله الا لخصال اشتمل عليها موجبة لتفضيله متساوية في الثبوت عندهم، وانهم ما اختلفوا في الكلام الذي اختلفوا فيه الا لخصال تخالف الخصال

التي اعتادت نفوس اهل الاختيار استحسانها وموافقة الخصال التي اعتادت نفوس اهل النقد كراهتها فايقنوا ان من خصال الكلام ما هو حقيق بان يكون مناط اختيار وضده فكان ذلك الادراك في اتفاقهم واختلافهم حافزاً لهم للبحث عن جوامع تلك الخصال ومقوماتها .

وعلموا ان ادراكهم وفاقا وخلافا يرجع الى معتادهم من مزاولة مختلف احوال كلام البلغاء في مراتبه ،اعلاها وادناها ، فبعثهم على وصف ما يصفونه بحسن او بدونه .

وكان لكل كلام بليغ مبان اي الفاظ بني عليها في حسن التئام وانتظام ومعان لها صور في العقل يستجيدها السامع ويغتبط بها .

وكان ذلك الأدراك انفعالا ذهنياً يؤول بالدربة الى ملكات ذوقية فلما حاولوا ان يستدلوا عليه عند المجادلين او ان يصفوه للمتعلمين عند المدارسة ضاقت الافكار عن الاحاطة باسبابه والعبارات عن الدلالة على منابعه فاحتاروا في أن مثار ذلك الادراك الحاصل لهم من اين نشأ ،أهو من جانب مباني الالفاظ وانتظامها ام من جانب المعاني وصورها ؟ ثم احتاروا في شرح اسباب حصول ذلك في احد الجانبين او في كليهما ، فاستعان كل واصف على ابانة الاوصاف التي تعقلها ابانةً بما حضر لديه من التقريب والتشبيه

والتمثيل على ان يبلغ ما في نفسه الى نفوس الجاذبين والمسترشدين ، فشبهوا المعاني تارة باحوال الاناس والحيوان من الجواري والظباء واحوال المتاع النفيس من حلي او نحو ذلك ثم استتبعوا تلك التشبيهات بالبناء عليها فجعلوا للجواري معارض ومطارف وجعلوا للحيوان وحشياً وانسياً ووصفوا اللفظ المقبول بالنبيه وبالشريف وضدّه بالهجين وبالردي والمستكره .

ووصفوا المعنى المقبول بالرفيع وبالكريم . وضده بالحقير والفاسد والدني والساقط (١) .

ثم عزوا ذلك كله بالمقارنات بين منشآت البلغاء والموازنة بينها . وقد تصدى المؤلف الى تقريب ذلك كله والجمع بين مختلفه بما تفنن في اوصافه مع الحرص على الاختصار فقال « اعلم ان مذاهب نقاد الكلام في شرائط الاختيار مختلفة ، وطرائق ذوي المعارف باعطافها وارادفها مفترقة ،وذلك لتفاوت اقدار منادحها على اتساعها وتنازح اقطار مظانها ومعالمها ،ولأن تصاريف المباني التي هي كالاوعية وتضاعيف المعاني التي هي كالأمتعة في المنثور ، اتسع مجال الطبع فيها ومسرحه ،وتشعب مراد الفكر لها ومطرحه . » وكان الخائضون في هذا الشأن فريقين ، فريق ، وهم الاكثرون ، هم من

(١) ص ٧٤ الجزء الاول من البيان والتبيين للجاحظ طبع الرحمانية بمصر

اصحاب الذوق والبلغاء من الادباء ، ولكنهم غير متمرسين في علوم المعاني والبيان فكانوا اذا وصفوا الكلام البليغ وصفوه بالاساليب التي اعتادوها في منشآتهم وهي الابانة عن محـــاسن الكلام بالتقريب باساليب التشبيه والمجاز والكناية فيبرز وصفهم الكلام في صورة انشاء بليغ او شعر جيد ، وهم على ذلك قد اناروا الطريق لسالكيه ولكنه لا يشفي غليل الطالب ولا يبلغ به الواصف قصده؛ وهذا كما وصف ابن الاثير [1] كلاماً فصيحاً بقوله « البيان الذي لا يغض منه نسق الفريد ولا يخلق نضرة لباسه الجديد يستميـل سمع الطروب و يستحق وقار القلوب » وقوله « وان للكلمة طعماً يعرف مذاقه من بين الكلام ، وخفة الارواح معلومة من بين ثقل الاجسام » وقوله « الفاظ كخفق البنود او زأر الأسود ومعان تدل بوارقها انها هي السيوف وان قلوباً نمتها هي الغمود » . وكما وصف

(١) هو الوزير نصر الله ابن محمد المعروف بابن الاثير الجزري نسبة الى جزيرة ابن عمر الموصلي توفي سنة ٦٣٧ وهو من ايمة الادباء والكتاب له كتاب المثل السائر مشهور مطبوع . وكتاب الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور ذكره صاحب كشف الظنون ويظهر انه الفه بعد المثل السائر لانه لم يذكره في كتاب المثل السائر مع انه ذكر كتاباً آخر له سماه الوشي المرقوم في حل المنظوم وهذا الجامع الكبير اخص من المثل واقل شواهد ولكنه قـد يكون اكثر منه قواعد فلعله قصد منه تهذيب الفن والاقلال من انتشاره وهو يقع في زهاء ثلث حجم المثل السائر وهو عزيز الوجود وفي مكتبتي نسخة منه نسخت سنة ٦٦٨ وهذا الكلام الذي ذكرناه هنا هو من كتاب المثل السائر.

البحتري وقارن فقال :

في نظام من البلاغة ما شك امرؤ انه نظام فريد
وبديع كأنه الزهر الضاحك في رونق الربيع الجديد
مشرق في جوانب السمع ما يُخلقه عوده على المستعيد
ومعان لو فصّلتها القوافي هجنت شعرَ جرول ولبيد
حُزْنَ مستعمل الكلام اختياراً
وتجنبن ظلمة التعقيد
وركبن اللفظ القريب فادركن به غاية المراد البعيد

وفريق هم اصحاب علوم العربية من المعاني والبيان، غير انهم لم يكمل عندهم ذوق صناعة البلاغة وهؤلاء قصاراهم بيان خصائص الكلام البليغ بياناً كلياً وتمثيله بشاهد او شاهدين مما فيه تلك الخصوصية، ولا يخلون بأن تكون شواهدهم مستكملة شروط الجودة بأكثر من اشتمالها على ما يحقق القاعدة، مثل احمد بن يحيى ثعلب .

واحق الناس باطلاق العنان في هذا الميدان هم الذين استكملوا عدة الفريقين وتكلموا باللسانين، مثل الجاحظ والآمدي وعبدالقاهر الجرجاني ويوسف السكاكي والمرزوقي وابن الأثير وان كان هذا الأخير دونهم ذوقاً [1] .

(١) ستأتي ترجمته عند ورود كلام له .

قال المؤلف (**فمن البلغاء من يقول فقر الالفاظ وغررها كجواهر العقود ودررها . فاذا وسم اغفاغا بتحسين نظومها . وحلي اعطالها بتركيب شذورها . فراق مسموعها ومضبوطها . وزان مفهومها ومحفوظها . وجاء ما حرر منها مصرفاً من كدر العي والخطل . مقوماً من أود اللحن والخطا . سالماً من جنف التاليف . موزوناً بميزان الصواب . يموج في حواشيه رونق الصفاء لفظاً وتركيباً . قبله الفهم والتذ به السمع . واذا ورد على ضد هذه الصفة صدىء الفهم منه وتأذى السمع به تأذي الحواس بما يخالفها**)

أراد بالبلغاء ائمة النقد وعلماء فن الترسل وقرض الشعر والبلاغة ، الذين يصرفون اهتمامهم الى العناية بحالة الكلام المفيد المعاني وجعله مناط الاختيار والنقد .

وهذا المذهب نسبه الآمدي في كتاب الموازنة الى الكتاب واهل البلاغة ونسبه عبد القاهر في دلائل الاعجاز الى القدماء [1] ؛ وعلى حسب اهتمامهم هذا يجري اختيارهم فيما يختارون من صنايع اهل الأدب ويجري تعليمهم فيما يلقنون للشادين في مزاولة الصناعة من الترسل وقرض الشعر ، فهم يصرفون الاهتمام الى محاسن الكلام فلما وجدوا المعاني انما تظهر من دلالة الكلام عليها صرفوا اول العناية

(١) انظر صفحة ١٨٤ من دلائل الاعجاز سطر ٢٠ ـ ٢١ طبع مطبعة المنار

الى جانب الكلام والفاظه ، وجعلوا المعاني حاصلة بالتبـع — وعلى عكس هذه الطريقة من الاعتبار جرى الفريق الذين قدموا النظر الى جانب المعاني . وهذا المذهب هو الذي احتفل به الشيخ عبـد القاهر في دلايل الاعجاز في الفصول التي ترجمها بفصول شتى في امر اللفظ والنظم [1] .

فظهر ان المقصود من صرفهم الاهتمام الى العناية بحالة الكلام اشتراطهم ان يكون كلاماً فصيحاً بفصاحة كلماته في حد ذاتها و بفصاحة تراكيبها عند اجتماعها . ثم بما يعطيه نظم الكلام عند تركيبه مـن أساليب في التقديم والتأخـير والذكر والحذف والفصل والوصل والحقيقة والمجاز من خصايص يفوق بها غيره مما هو دونه في ذلك ، فذلك كله يرجع الى اللفظ . فاما فصاحة الكلمات فلأنها اجـزاء الكلام فتعين ان تكون الأجزاء فصيحة ليكون مجموع الكلام فصيحاً.

ومعنى فصاحة الكلمات سلامتها من تنافر الحروف ومن الغرابة ومن مخالفة قواعد اللغة المستقراة من استعمال العرب وهذا ما يقتضيه تشبيه المؤلف الألفاظ بالجواهر والدرر ، اذ لم يختلف ايمة البلاغة في ان من شرط كون الكلام فصيحاً ان تكون كلماته فصيحة ، ولم ينكروا ان الألفاظ المفردة تتفاضل بمقدار تفاضلها في فصاحتها ، و يظهر ذلك

(١) صفحة ١٨٠ من دلايل الاعجاز .

جلياً في المترادفات ، فلا يختلفون في ان لفظة اسد أحسن من لفظة فدوكس وقد عابوا استعمال المتنبي الفاظ القلقلة في قوله :

وقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا قلاقـل هم كلهن قلاقل

قال الشيخ في دلائل الاعجاز[1] :وقصارى تفاضل الكلمتين لا يكون اكثر من كون احداهما مألوفة مستعملة والأخرى غريبة وحشية ـ او تكون حروف هذه اخف وامتزاجها أحسن ومما يكد اللسان ابعد.

وقال[2] : من المعلوم ان لا معنى لعبارات البلاغة والفصاحة والبيان التي ينسب فيها الفضل والمزية الى اللفظ دون المعنى غير وصف الكلام بحسن دلالته وتمامها، ثم تبرجها في صورة هي أبهى وأزين واحق بأن تستولي على هوى النفس وتنال الحظ الأوفر من نيـل القلوب ؛ ولاجهة لاستكمال هذه الخصال غير ان يؤتى المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته ويختار له اللفظ الذي هو به اخص ، واحرى بان يكسبه نبلا ويظهر فيه مزية .

وهل يتصور ان يكون بين اللفظتين تفـاضل في الدلالة حتى تكون هذه أدل على معناها الذي وضعت له من دلالة صاحبتها على ما هي موضوعة له حتى يقال ان رجلا ادل من فرس فلذا لا تتفاضل الكلمتان المفردتان الا بالنظر الى المكان الذي تقعان فيه من نظم الكلام.

(١) دلائل الاعجاز ص ٣٦ .
(٢) المصدر نفسه ص ٣٥ .

ولا تجد أحداً يقول هذه الكلمة فصيحة الا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملاءمة معناها لمعنى جارتها »

وقال[1] :فاذا تلاقت في النطق حروف تثقل على اللسان ـ ومثّله بأبيات التنافر الشديد والمتوسط ـ فذلك وجه من وجوه التفاضل بين كلام على كلام ، ولكن ليس المقصود ان يكون ذلك عمدة المفاضلة وهذا لا ضر به علينا اه

ولهذا فالذين لم يتعرضوا الى محاسن الكلمات المفردة ما ارادوا عدم الالفات الى شرائط حسنها ولكنهم استغنوا عنه بحصوله تبعاً لحصول شرائط فصاحة الكلام ومحاسنه ، ولكن المتأخرين من عهد السكاكي رأوا ان لا محيص عن الاعتداد بصفات الكلمة المفردة قبل دخولها في نظم الكلام، فجعلوا الفصاحة مشتركة الوقوع في المفرد وفي الكلام، لاسيما بعد ان وضحت المحجة وزالت الشبهة التي استنكرها عبد القاهر، وان كانوا لا ينكرون ان فصاحة المفرد لا يهتم بها الا من حيث انه معرض للوقوع في الكلام . فآل الخلاف الى اللفظ، وقد اشار المؤلف إلى الامرين في قوله الآتي «اذ كانت الالفاظ للمعاني بمنزلة المعارض للجواري » واصحاب هذا المذهب لا يعبأون بالصنعة ولا يتكلفون للمحسنات، ومنهم عبد القاهر ؛ قال في

(١) دلائل الاعجاز ص ٤٤ .

أسرار البلاغة [1] « ولن تجد ايمن طائراً . واحسن اولاً وآخراً . من ان ترسل المعاني على سجيتها وتدعها تطلب لأنفسها الالفاظ فانها اذا تركت وما تريد لم تكتس الا ما يليق بهـا ولم تلبس من العارض الا ما يزينها فاما ان تضع في نفسك انه لا بد من ان تجنس او تسجع بلفظين مخصوصين فهو الذي انت منه بعرض الاستكراه وعلى خطر من الخطأ والوقوع في الذم» اهـ .

واليك تفسير مفردات من كلام المؤلف **فقر** بكسر ففتح اسم جمع فقرة وهي ما انعقد من عظـام الصلب كالعلبة واراد بهـا المفردات . **والغرر** جمع غرة وهي دارة بيضاء في جبهة الفرس وهي من محاسن الخيل واراد بها محاسن الكلمات والمعنى ان شروط محاسنها كشروط محاسن الجواهر في العقود افراداً وتأليفاً . **والاغفال** جمع غفل بوزن قُفْل وهو القدح من قداح الميسر الذي لم تجعل له علامة تدل على نصيب من يخرج له فصاحبه في الميسر لا نصيب له .

وبذلك يظهر معنى قوله فاذا وُسِم أغفالها حيث جعـل الكلمة غير المنتخبة كالقدح الذي لا حظ له في القداح . **والاعطال** جمـع عاطل وهي المرأة التي لا حلية عليها؛ جعل الكلمة غير المنتخبة كالمرأة غير الحالية، فاذا انتخبت الكلمة للمعنى كانت كالمرأة الحالية و**الشذور**

(١) صفحة ١٠ طبع مطبعة المنار .

جمع شذرة بفتح الشين المعجمة وسكون الذال المعجمة وهي اللؤلؤة أوالقطعة من الذهب غير المشذبة ـ **والعي** بكسر العين وتشديد الياء العجز عن الكلام واراد به هنا العجز عن تأليف الكلام في الترسل والانشاء ـ والخطل بفتحتين خطل الرأي وهو فساد التفكير . اراد به هنا الخطأ في المعنى ـ **واللحن** الخطأ في الالفاظ بايرادها على خلاف الطريقة العربية من اللغة والاعراب **والخطأ** في الكلام ايراد اللفظ في غير معناه الموضوع له لغة دون قصد مجاز او استعارة تدل عليها قرينة ـ كقول المسيَّب بن عَلس يصف جمله :

وقد اتلافى الهمَّ عند احضاره بناج عليه الصيعرية مكدم

فأخطأ اذ جعل للجمل الصيعرية والصيعرية سمة توسم بها النوق ولذلك لما سمعه طرفة قال : استنوق الجمل . فسارت مثلا.

والجنف بجيم ثم نون مفتوحتين الخروج عن جادة الطريق واراد به الخطأ في نظم الكلام على الاساليب العربية في التقديم والتأخير . ووقع في احدى النسختين النوتسيتين حيف بحاء مهملة ومثناة تحتية وهو الظلم اي ظلم الكلام العربي لعدم اعطائه حقه الذي رسمه له العرب ، ولفظ جنف احسن .

والموج اضطراب سطح الماء وتحركه وهو من محاسن منظر الماء.

والحواشي الاطراف وهي للماء شطوطه وحافات سواقيه .

والرونق الحسن واللمعان .

قال (**ومنهم من لم يرض بالوقوف على هذا الحد فتجاوزه والتزم من الزيادة عليه**) اي من البلغاء فريق لم يقتنعوا لحسن الكلام بحسن الفاظه وتركيبه بل ارتقى الى طلب محاسن زائدة تتعلق بزيادة في تنميق الكلام ومحاسنه وهي (**تتميم المقطع**) اي حسن اختتام الرسالة والخطبة والقصيدة فالمقطع اسم مكان القطع اي قطع الكلام اي ختمه وتنهيته ومعنى تتميمه جعله تاماً لا يترقب السامع شيئاً بعده وهو ان يؤتى بما يؤذن بانتهاء الكلام كقوله تعالى « هذا بيان للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو الاه واحد وليذكر اولو الالباب» — وقوله : يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شيء عليم — واشهر انواع براعة المقطع الدعاء الا انه لكثرة وروده في الرسائل سمج في الاذواق فكان العدول الى غيره احسن مثل التوريات بلفظ الكمال والختام ومثل ما لا يبقى بعده مترقب للازدياد من الخبر كقول الحريري .. في المقالة ٨٥ «فعاهدني على ان لا افوه بما اعتمد ما دمت حلا بهذا البلد ، فعاهدته معاهدة من لا يتأوّل ووفيت له كما وفى السموأل». وقوله في المقامة المائة :فمزقت رقعته شذرمذر . ولم ابال اعذل ام اعذر» وهذا الشرط الذي ذكره المؤلف من استحسان

المولدين ولم يكن مرعياً عند بلغاء العرب . قال « **وتلطيف المطلع** » اي جعله لطيفاً اي رقيقاً حسناً انيقاً لان مطلع الرسالة او القصيدة أول ما يقرع فهم السامع او المطالع فاذا كان حسناً بديعاً استجلبه للاقبال على بقيته بالنظر او الاصغاء . قال ابن الاثير في الجامع الكبير(١) : وقد كان بعض علماء البيان يقول « احسنوا معاشر الكتاب الابتداءات فانهن دلائل البيان » ومن اهم ذلك الاحتراس من الفاظ تستكره عند السامع . وللعوائد اثر في هذا الشأن ولذلك قد ترى المولدين ينتقدون بعض فواتح القصائد بما قد كان مثله شائعاً عند العرب مثل ذكر البين والبِلى . واحسن مطالع القصائد ما كان يلفت نظر السامع الى ما بعده بان لا يكون من المَطالِع المعتاد تكررها فينبغي ان يكون المطلع عزيزاً غير مطروق وذلك في الالفاظ المفتتح بها فاذا انضم اليها عزة المعنى فقد استوفى المطلع الحسن ، فان من المعاني المطروقة بكاء الديار الذي ابتكره امرؤ القيس ومع ذلك تجد مطالع للنابغة في هذا المعنى لطيفة. ومن احسن المطالع قول عنترة :

هل غادر الشعراء من مُتَرَدَّم

(١) مخطوط بمكتبتي في ورقة ١٠٠ وهو شبيه بكتابه المثل السائر

وعُرف باجادة المطالع ابو تمام والبحتري والمتنبي — وكذلك الامر في الرسائل مثل الرسالة الرقطاء للحريري . اما فواتح سور القرآن فقد وردت على اكمل الوجوه بخلاف مطالع رسائل بديع الزمان الهمذاني وابي بكر الخوارزمي اذ التزما غالباً افتتاحها بكلمة — كتابي — ولعلها جرت بها عادة الكتاب في بلادهم

« وعطف الاواخر على الاوائل » اراد به ما يسمى عند المتأخرين رَدَّ العَجُز على الصدر و يسمى عند المتقدمين التصدير وامثلته كثير ولفظ عطْف في كلامه هو بالمعنى اللغوي وهو الرجوع والميل وليس المراد المعنى النحوي

« ودلالة الموارد على المصادر » اراد بها براعة الاستهلال وهي ان يؤتى في اول الكلام بمعان فيها ايماء الى الغرض المقصود منه فكأن المتكلم في اول كلامه وارد للماء وكأنه في اخر كلامه صادر عن الماء وهذا قسم من براعة المطلع التي سماها المؤلف آنفاً — تلطيف المطلع —

والموارد جمع مورد وهو مكان ورود المستقِينَ **أي** مجيئهم الى الماء. قال تعالى :ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون

والمصادر جمع مصدر وهو المكان الذي يصدر المستقون منه عن الماء بعد السقي. قال تعالى : قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء . قال

قس بن ساعدة :

لمـــا رأيت مواردا للموت ليس لها مصـادر

— والاختلاف بين الموارد والمصادر باعتبار اختلاف حال المستقي اما المكان فواحد .

« **وتناسب الفصول والوصول** » الفصول جمع فَصْـــل والوصول بالواو جمع وَصْل وكلاهما لقب من الالقاب المصطلح عليها عند علماء المعاني من اهل البلاغة : فالفصل ترك عطف جملة على جملة قبلها بان يؤتى بالثانية غير مقترنة بحرف عطف والوصل عطف احدى الجمل على الاخرى ؛ ولكل من الفصل والوصل مواقع بعضها تتعين مراعاته وبعضها تحسن مراعاته ، وقد عقد لهما باب واسع في دلائل الاعجاز لعبد القاهر وفي المفتاح للسكاكي . واتى المؤلف بصيغتي الجمع في الفصول والوصول باعتبار تعـــدد مسائل كل وصورها . والمؤلف حشر هذا النوع في عداد الصناعة اللفظية نظراً الى كون الاتيان بالعاطف وعدمه لا يغير معنى الجملة غالباً وانما هو وسيلة من وسائل الايضاح والافصاح في العربية فهو بمنزلة الاعراب (١)

(١) نبهت بهذا على ان الاعراب ليس ما يتوقف عليه معنى الكلام بـــل تتوقف عليه سرعة الفهم وهو مبدأ لفصاحة الكلام العربي وقد اخطأ من قال من المتأخرين — يزعم عدم الحاجة لعلم النحو — :

وقـــالوا قام زيد ثم ظنوا بدون الرفع زيدا ان يقوما

ولم ار من سبقني الى التنبيه على هذه الخصوصية لعلم النحو

فآل الى حالة لفظيـــــــة في نظـم الكلام وان كانت مراعاة ترتبط بمراعاة موقع معنى الجملة من معنى التي قبلها فملاحظـة موقع الجملة شرط في مراعاة الفصل او الوصل ولا يوجب اختلافـاً للمعنى الذي تشتمل عليه الجملة. واما عد الفصل والوصل في علم المعاني فلأن مسائله ليس لها شائبة اندراج في مسائل علم البيان ولا في مسائل علم البديع فكان علم المعاني اولى بضمها وهي بالفصاحة اعلق فينبغي ان ينتبه لهذا الصنيـع الذي صنعه المرزوقي بتدقيقه . وسيأتي ذكر الفصول والوصول في عداد التحام اجزاء النظم

« **وتعادل الاقسام** » يريد بتعادل الاقسام ما يسمى عنـد الادباء بصحة التقسيم ثم مقابلة كل قسم من المعاني المتحدث عنها بقسمه وعدم الغفلة عن ذلك ولا التخليط فيه . وقد قال المؤلف في ذكر المقابح : او يكون في القَسم او التقابل او التفسير فساد .

واعلم ان هذا مبحث عظيم من مباحث علم الخطـــابة تكثر الحاجة اليه فيها ومنزع دقيق من منازع صناعة الترسل وصناعـــة الشعر . وتفصيله في كتب البديع ونقد الشعر . والتعادل التـكافؤ اي ان لا يكون بعضهـا اوفر في الذكر . « **وتعادل الأوزان** » ظاهرٌ ان ليس مراده بالاوازن اوزان الشعر لان كلامه هنا على شرائط الاختيار في الكلام المنثور ولان حقيقة الشعر مشروطة بتعادل الاوزان وسيجيء كلامه على ذلك بالنسبة للشعر في ذكر البـاب

الخامس من الابواب السبعة التي جعلها عمود الشعر ولذلك لم يعد هناك تعادل الاوزان وانما ذكر اتمام اجزاء النظم

وانما اراد بتعادل الاوزان هنا تساوي سموط الاسجاع وهي المسماة بالقرائن التي تنزل من الكلام المسجوع منزلة المصاريع للشعر فتعادلها بان تكون متساوية المقدار في النطق معتدلة فيه ، وذلك اصل السجع؛ وبمقدار تساويه تتفاوت اقدار الكتّاب . مثال المعتدل التام قول الحريري في المقامة[٣] : وأوْدى بي الناطق والصامت . ورثى لي الحاسد والشامت ـ ومن هذا القبيل قول المؤلف في صدر هذه المقدمة حسبما في النسخة التونسية « وهو مستودع ادابها. ومستحفظ انسابها . ونظام فخارها عند النفار وديوان حجاجها عند الخصام » .

وقد يكون بينها تفاوت قليل كقول الحريري في المقامة ٢٩ « الجأني حكمُ دهر قاسط . الى ان انتجع أرض واسط » ولا يجوز التفاوت الكثير بين القرينتين و بالخصوص اذا كانت الاولى اطول من الثانية . ومما يندرج في تعادل الاوزان أن تقابل زنة اللفظ بمثلها في صيغة الاشتقاق من فعل او وصف كقوله تعالى « قل ان ضللت فانما أضِل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي » فقوبل ضللت باهتديت وهما فعلان ماضيان وقوبل اضل بيوحي وهما فعلان مضارعان . ومن تعادل الاوزان قول الحريري في المقامة

الاولى « وهو يطبَع الاسجاعَ بجواهر لفظه و يقرعُ الاسماع بزواجر وعظه » وكل هذا معدود من المحسنات اللفظية فلا يصير البليغ اليه الا حيث لا يوجد ما يقتضي خلافه من جهة المعنى البلاغي ويراعى قريب منه في سموط الترسل غير المسجوع .

وانما حشر المؤلف هذا في عداد الخصائص العائدة الى الالفاظ لان الكاتب يغير ترتيب المعاني في سجعه تغييراً يهيىء ليوافقه هذا الاسلوب اللفظي فكان بسبب ذلك عملا لاجل دقائق من حسن اللفظ يدل على قوة المنشىء في سجعه وكذا القول في الترسل

« والكشف عن قناع المعنى بلفظ هو في الاختيار اولى حتى يطابق المعنى اللفظ ويسابق فيه الفهم السمع » قال عبد القاهر في دلائل الاعجاز[1] : « ويختار للمعنى اللفظ الذي هو به اخص واحري بان يكسبه نبلا ويظهر فيه مزية »

« ومنهم من ترقى الى ما هو اشق واصعب فلم تقنعه هذه التكاليف في البلاغة حتى طلب البديع من الترصيع والتسجيع والتطبيق والتجنيس » هذه القاب لانواع من البديع **لا تعسر على الناظر بمراجعة مباحثها فالترصيع.**

« وعكس البناء في النظم » يريد بالنظم انتظام الكلام لالمقايل النثر كما لا يخفى . وهذا النوع المحسن البديعي المسمى ما لا يستحيل

(١) صفحة ٣٥ طبع المنار

بالانعكاس كقول العماد الكاتب للصاحب ابن عباد وقد انصرف من عنده راكباً فرساً : سِر فلا كبا بك الفرس... فاجابه الصاحب وقد فطن لما في كلامه من البديع قائلا « دام عُلا العِماد » . ومن احسنه في الشعر قول الأرجاني :

مَودتُه تدومُ لكل هَوْلٍ وهَلْ كلُّ مودته تدوم

فهذا البيت يقرأ من اخره بحسب ترتيب الحروف كما يقرأ من اوله . ومن احسنه رسالة البديع الهمذاني المثبتة في مجموعة مراسلاته [1] .

« **وتوشيح العبارة بالفاظ مستعارة** » غلب المؤلف جانب الحسن اللفظي هنا على الخصوصية المعنوية فعد هذا في المحاسن اللفظية جريا على طريقة كثير من الادباء واهل البديع وهي طريقة المتقدمين من الادباء الذين دونوا اصول الادب قبل ان يميز علم البلاغة بالتدوين بعناية الشيخين عبد القاهر والسكاكي ، والى هذا اشار الخطيب القزويني في قوله : « و بعضهم يسمي العلوم الثلاثة علم البديع » . والتوشيح التزيين واصل التوشيح إلباس الوشاح وهو من حلية النساء . وقد لمح الى الاستعارة ومثالها عز الدين الموصلي في بديعيته بقوله :

دع المعاصي فشيب الرأس مشتعل بالاستعارة من ازواجها العقم

(١) طبع مطبعة الجوايب بالاستانة ص ٣٨ .

« الى وجوه اخر تنطق بها الكتب المؤلفة في البديع فاني لم اذكر هذا القدر الا دلائل على امثالها ولكل مما ذكرته وما لم اذكره رسم من النفوذ والاعتلاء بازائه ما يضاده فيسلم للنكوص والاستفار » اي بحيث يرتفع شأن الكلام في الحسن والقبول بمقدار مراعاة هذه الخصائص والمحاسن ويحط باهمال ذلك في مواقع مراعاته انحطاطاً بمقدار ذلك الاهمال .

« فاكثر هذه الابواب لاصحاب الالفاظ اذ كانت للمعاني بمنزلة المعارض للجواري فارادوا ان يلتذ السمع بما يدرك منه ولا يمجه ويتلقاه بالاصغاء والاذن له فلا يحجبه » اشار بقوله فاكثر هذه الابواب لاصحاب الالفاظ الى ان بعضها يتجاذبه الجانب المعنوي مثل الفصول والوصول ومثل توشيح العبارة بالاستعارة كما اشرنا اليه هنالك والمعارض جمع معرض بوزن منبر وهو الثوب الذي تتجلى فيه الجارية حين تعرض للبيع وهذا تشبيه طريف وقد تبعه فيه عبد القاهر قال في دلائل الاعجاز[1] «ويجعلون المعاني كالجواري والالفاظ كالمعارض لها » واشار المؤلف بالتعليل في قوله « إذ كانت للمعاني بمنزلة المعارض للجواري » الى ان البلغاء الذين صرفوا همتهم في اختيار الكلام البليغ الى جانبه اللفظي ما ارادوا حالة مفردات الالفاظ ولكن ارادوا حالة الكلام المؤلف

(١) صفحه ١٩١

كيف تبرز حين تأليفه؛ والمؤلف ينحو بهذا الى ما تقدم مما حققه عبد القاهر . واراد المؤلف باصحاب الألفاظ احد الفريقين من نقاد الكلام وهم الفريق الذين جعلوا وجهتهم في النقد احوال الالفاظ مفردة ومركبة ومدى وفائها بالمعاني المرادة وحسن وقعها في الاسماع .

« وقد قال ابو الحسن ابن طباطبا في الشعر : هو ما ان عري من معنى بديع لم يعر من حسن الديباجة وما خالف هذا فليس بشعر » ساق المؤلف كلام ابن طباطبا حجة على ان العناية باللفظ هي في الدرجة الاولى عند كثير من اهل الادب بحيث ان حسن الديباجة اللفظية يجعل الكلام مقبولا ولو كان عريا من معنى بديع اذ قد يعرى البيت او اكثر من القصيدة ، والسطر او اكثر من الرسالة ، عن معنى بديع فيكسوه الكلام بحسنه حسناً يعتاض به عن حسن المعنى . وكلام ابي الحسن وان خصه بالشعر فهو منطبق على النثر لا محالة كما أشار اليه المرزوقي بسوق كلام ابي الحسن عقب ما تقدم ثم تقييده بقوله في «الشعر» . وابو الحسن ابن طباطبا هو محمد بن احمد ابن محمد بن احمد بن ابراهيم طَبَاطَبا بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن ايضاً بن علي بن ابي طالب وطَباطَبا بفتح الطاء مكرراً لقب الصق بجد جده ابراهيم بن اسماعيل لانه كان يلثغ في القاف بجعله طاء وطلب يوماً غلامه ان يأتيه بثيابه فأتاه بدَرَّاعة

فقال « لا طَبَا طَبَا » يعني قَبَا وكرره . وابو الحسن شاعر مفلق وعالم محقق ولد باصبهان وتوفي بها سنة ٣٢٢ كان مشهوراً بالفطنة وصحة الذهن وله كتاب عيار الشعر وكتاب تهذيب الطبع وكتاب العروض وكتاب المدخل في معرفة المعمى من الشعر وكتاب في تقريظ الدفاتر كان ابن المعتز يلهج بذكره وله شعر كثير وقد ترجمه ياقوت في ارشاد الاريب ومن شعره البيت الذي فيه التشبيه اللطيف وهو :

لا تَعْجَبوا من بِلى غِلالَته قَدْ زَرَّ ازرارَه على القمر

« ومن البلغاء من قصد فيما جاش به خاطره الى ان تكون استفادة المتأمل له والباحث عن مكنونه من اثار عقله اكثر من استفادته من اثار قوله او مثله وهم اصحاب المعاني » هذا انتقال الى الطريقة الثانية من طريقتي البلغاء نقاد الكلام في عماد فضيلة الكلام وهي طريقة الفريق الذين صرفوا الاهتمام الاول الى المعاني التي يريد البليغ التعبير عنها ، وانت تعلم ان مقصودهم الذي يرمون اليه هو مصرف الاهتمام الاول على نحو ما قدمنا في تقرير مذهب اصحاب الجانب اللفظي وسنذكر المراد بالمعنى عند شرح قول المرزوقي انهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته **فطلبوا المعاني المعجبة من خواص اماكنها . وانتزعوها جزلة عذبة حكيمة طريفة . او رائقة بارعة فاضلة كاملة . او لطيفة شريفة**

زاهرة فاخرة . وجعلوا وسومها ان تكون قريبة التشبيه لائقة الاستعارة . صادقة الاوصاف لائحة الاوضاح خلابة في الاستعطاف عطافة لدى الاستنفار مستوفية لحضوضها عند الاستهام من ابواب التصريح والتعريض والاطناب والتقصير - والجد والهزل - والخشونة والليان والاباء والاسماح . من غير تفاوت يظهر في خلال اطباقها ولا قصور ينبع من اثناء اغماقها مبتسمة من مثاني الالفاظ عند الاستشفاف محتجبة في غموض الصيان لدى الامتهان تعطيك مرادك ان رفعت بها وتمنعك جانبها ان عنفت معها »

اشار بكلامه هذا الى تحقيق الجانب الذي يكون من شرف المعاني ليريك ان ليس المراد بصرف العناية الى المعاني ان تكون معاني الكلام كلها من الحق والموعظة او العلم فان ذلك لا يتأتّى في كل كلام ولا يقتضيه كل مقام ،وان اكثر شعر العرب في الجاهلية بمعزل عن ذلك وانما المراد ان المعاني التي يجيشُ بها الخاطر وهي المعاني الاصلية من اغراض التخاطب وغيره اذا جاش بها الخاطر وترددت في النفس يكون حقاً على البليغ ان يصورها معاني فائقة من مجاز او تشبيه او ايجاز او تلميح او تمليح حتى اذا اديت بالكلام أبرزت الفاظها صوراً من الحقائق والكيفيات العقلية تقع من نفوس السامعين مواقع الاعجاب او الاستحسان . فانك اذا افتقدت قول كُثيِّر:

ولما قضينا من منىً كلَّ حاجة ومسَّحَ بالاركان من هو ماسح
وشُدتْ على دُهْم المَهاري رحالُنا ولم يَنْظُر الغادي الذي هو رائح
أخذْنا باطراف الاحاديث بيننا وسالَتْ باعناق المَطِيِّ الأباطح

وهذا معدود من اجود الشعر ، لم نجد في اصل معناه اكثر من انَّا فرغنا من الحج فركبنا راجعين ونحن نتحدث على مطي الرواحل . ولكنك تجده افاد هذا المعنى بافانين من التصوير المعنوي وتشخيص الاحوال ما ان سمعه السامع اهتز له اعجاباً . وحرك للاستزادة من سماعه طِلابا. وكان من اصحاب هذا المذهب ابن الاثير في كتابه الجامع الكبير اذ يقول « ينبغي ان يستيقن المؤلف ان المعاني اشرف من الالفاظ والدليل على ذلك انا لو خلعنا هذه الالفاظ من دلالتها على المعاني لما كان شيء منها احق بالتقديم من شيء ، بل كانت بمنزلة أصداء الأجسام ، والأصوات الناشئة عنها . ويزيد ما ذكرناه وضوحاً ان هذه الصناعة من النظم والنثر التي يتواضعها البلغاء بينهم وتتفاضل بها مراتب البلاغة انما هي شيء يستعان عليه بدقيق الفكرة وكثرة الروية . ومن المعلوم ان الذي يُستخرج بالفكر وينعم فيه النظر انما هو المعنى دون اللفظ لان اللفظ يكون معروفا عند ارباب صناعة التأليف دائراً فيما بينهم والمعنى قد يُبتدع فيذكر المؤلف معنى لم يسبق اليه الخ.»

فمعنى قول المرزوقي « **من قصد فيما جاش به خاطره الى أن تكون استفادة المتأمل له والباحث عن مكنونه من اثار عقله اكثر من استفادته من اثار قوله** » ان اهل هذا المذهب يصرفون اكبر اهتمامهم عند قصدهم افادة المعاني الاصلية الى ان يودعوها في صور من المعاني البيانية تفيد متأملها معاني جمة ليس كل معنى منها مستفاداً من جملة او عبارة بل يستفاد الكثير منها من الجملة الواحدة ، وذلك بحسن التوصيف بتشبيه قريب واستعارة لائقة . وسيشير المؤلف الى ما يحاوله البلغاء من ذلك بكناية وتعريض وبضرب الامثال ومراعاة تأثر السامعين على حسب اختلاف طبقاتهم وتنوع مقامات خطابهم بما يناسب تلك المقامات من التصوير المعنوي من خشونة او رقة . ومن جد او مزح ومن تصريح او رمز . ويحصل بذلك الايجاز الذي هو زينة كلام البلغاء كما قيل « لمحة دالة » مما لو جعل لكل مُراد منه لفظ او جملة لطال الكلام وفاتت براعة مؤلفه وضاعت فطنة متأمله او تساوت درجاتها . فاذا نظرت الى قوله تعالى :واشتعل الرأس شيباً ـ وجدت التصور المفاد من كلمة اشتعل مغنياً عن ان يقال شاب شعر رأسي دَفعةً واحدة ولم يترك الشيب منه شيئاً كالنار إذا التهبت في الحطب ،فتصوير الاشتعال افاد ذلك كله . واصحاب هذه الطريقة يجعلون النظر الى الألفاظ التي تؤدي المعاني التي يجيش بها الخاطر في

الدرجة الثانية .

وأمـا معنى مفردات كلام المرزوقي فقوله جاش ، فـاض ، والخاطر ، الذهن ، باعتبار جولته في المعاني فـكأنه يخطر في خلالها اي يمشي ؛ ومقصود المرزوقي انه نشأت في نفسه المعاني التي اراد افـــادتها ثم جالت في نفسه حتى تمكنت ووضحت فشبه ذلك التمكن بالجيشان وهو غليان القدر .

وقوله « من آثار عقله » متعلق « باستفادة » .

وقوله « او مُثُله » ينبغي ان يضبط بضمتين جمع مثال يعني ان يعتني بتصوير المعاني اكثر من عنايته بالقول والايضاح بالامثـلة .

وقوله « وسومها » بواو في اوله وهو جمع وَسم وهو العلامـة أي جعلوا علامة على فضيلة تلك المعاني ان تكون قريبة التشبيه .

وقوله « من غير تفاوت يظهر في خلال اطباقها ولا قصور ينبع من اثناء اعماقها »

الاطباق بفتح الهمزة جمع طَبَق بفتحتين وقد تقـدم في شرح قوله « لا يطابقه » واراد بالتفاوت تفاوت الافادة في ذلك التصوير بين ما يفيده بعض فقر الكلام و يفيده بعض آخر ، اي بان تـكون المعـــاني متوازنة فلا يوضع المعنى الشريف بازاء المعنى السخيف **والقصور** العجز عن الوصول الى ما حقه ان يصـل اليه وهو مشتق من قِصَر القامة اي قلة الامتداد في الاشياء بما يقتضيه كمال انواعها .

وشبه القصور الظاهر أثره بماء نابع بجامع الظهور واثبت له النبع على طريقة الاستعارة المكنية وهو من تشبيه المعدوم المتخيـــل بالموجود مثل تشبيه اللؤم في بيت حسان :

لو ان اللؤم صُور كان عبداً قبيح الوجه اعور من ثقيف

ومناسبة الاعماق للنبع ظاهرة فتكون ترشيحاً للاستعارة .

واراد **بالمبتسمة** انها تكشف عما تحجبه كشفاً حسناً كما يكشف الابتسام عن محـاسن الثغر **ومثاني الالفاظ** هي التراكيب لان الكلمات تثنى فيها اي تكرر ومنه سميت سورة الفاتحة المثاني .

و « **الاستشفاف** » هو نظر المتـأمل وفي احدى النسختـين التونسيتين الاستسعاف أي طلب الاسعاف أي قضاء المطلوب فعلى هذه النسخة يكون الابتسام تمثيلا بحالة سرور الكريم عنـد ملاقاة العفاة كما قال الشاعر :

تراه اذا ما جئته متهللا ... البيت.

والاحتجاب تمثيل للمعاني بالنسوة يحتجبن ممن قد يستخف بهن في مواقع صونهن تقال لدى الامتهان اي لدي ارادة الامتهان . واما قوله « **تعطيك مرادك** » فهو تمثيل آخر مثل فيه المعاني بالناقة الكريمة لا تدر الا بالإبساس اي برفق الحالب بها فاذا رفق بها مكنته ودرت وان اشتد عليها منعت .قال بشار : والدَّرُّ يمنعه جَفاءُ

الحالب « **فهذه مناسب المعاني لطلابها وتلك مناصب الالفاظ لاربابها** » .

الاشارة بهذه الى الصفات المذكورة قريباً وتلك اشارة للبعيد وهو الصفات المذكورة سالفاً لانها بَعُد ذكرها .

والمناسب بفتح الميم جمع مَنْسَب بفتح الميم وفتح السين وهو مصدرميمي لنسَبه ينسبُه اذا ذكر نسبهوغالب اطلاق ذلك في ذكر الانساب الشريفة اي فهذه الصفات التي ذكرتها قريباً هي صفات المعاني الشريفة الاصيلة فهي للمعاني كالانساب للناس فمن طلب المعاني الشريفة فليتوخ منها الصفات التي ذكرتها .

والمناصب جمع منْصِب بفتح الميم وكسر الصاد وهومكان النَّصْب اي رفع الشيء واظهاره ومنصب المرء شرفه ورفعته اي الصفات التي ذكرتها سالفاً هي مظان شرف الالفاظ فمن كان من ارباب الالفاظ اي المعتنين بها فليبحث عن انطباق تلك الاوصاف عليها . وبين المناسب والمناصب في كلامه الجناس المحرَّف .

« **ومتى اعترف اللفظ والمعنى فيما تصوب به العقول فتعانقا . وتلابسامتظاهرين في الاشتراف وتوافقا . فهناك يلتقي ثريا البلاغة فيمطر روضها . وينشر وشيها . ويتجلى البيان فصيح اللسان نجيح البرهان . وترى رائدي الفهم والطبع متباشرين لها من المسموع والمعقول ، بالمسرح الخصب والمكرع العذب** » .

تخلص المرزوقي في هذا الكلام الى مقام الحكم بين مذهب اهل الالفاظ ومذهب اهل المعاني فبين انه لا يتم للكلام حسنه وبلاغته الا باجتماع شرف لفظه وشرف معانيه .

واعتراف اللفظ والمعنى هو توافقهما وتآلفهما كالشخصين اللذين يعرف احدهما الآخر و يألفه .

تصوب تمطر والصَّوب المطر و يقال صَوْب المزن اي ماء السحاب ؛ شبه العقول المختارة للالفاظ والمنظمة للمعاني بالاسحبة وشبه ما تأتي به من محاسن الالفاظ وشريف المعاني بالمطر واثبت الصوب للعقول على طريقة الاستعارة المكنية مع كونها استعارة تبعية وهذه الاستعارة مأخوذة من قول ابي تمام في وصف الشعر :

ولكنه صوب العقول اذا انقضت سحائبُ منه أعقبت بسحائب

وقد أَتبَعَ المؤلف استعارته هذه بتمثيل بناه عليها فشبه هيئة انهيال الصنائع البليغة الرائقة من آثار اهل البلاغة نثراً ونظماً ، وتلقي السامعين اياها ، واهتزاز اذواقهم لقبولها ، واقبالهم على الاختيار منها على حسب الاذواق ، بهيئة عروض السحاب في اغزر الأنواء افاضة وهو نوء منزلة الثريا فتغزر مُعْصِرَاتها وتنتشر آثارها بين الأدباء كانتشار وشي الزرع في الرياض النضرة فتصبح الادباء

تفسر دقائقها للطلاب كما تبشر رُوَّادُ المراعي رعـــاء الحي بالمسارح الخصبة والمكارع العذبة ، فذكر هنا الهيئة المشبه بها ، وقد اشار الى الهيئة المشبَّهة بقوله عقب هذا : « ولتعرف مواطىء اقدام المختارين فيما اختاروه ومراسم اقلام المزيفين على ما زيفوه ، ويعلم ايضاً فرق ما بين المصنوع والمطبوع وفضيلة الأَتِيِّ السمح على الأَبِيِّ الصعب» ولقد اجاد التمثيل . فاصبح كلامه لقواعد الادب خير تمثيـــل . وقوله « في الاشتراف » بفاء في آخره اي الارتفـاع فيكون شبه الرفعة المعنوية برفعة السحاب اذا اخذ يتصاعد ، وينضم بعضه الى بعض . ووقع في احدى النسختين التونسيتين الاشتراق بقاف في آخره ولا يستقيم .

وقوله : « تلتقي ثريا البلاغة » هكذافي النسخ . وصيغة الالتقاء تقتضي ملاقاة شيئين وليس في عبارة المؤلف سوي الثريا فالظاهر ان صواب العبارة يَلْقَى بالمثناة التحتية المفتوحة وفتح القـاف والضمير عائد الى ما تصوب به العقول. والمعنى : فهنالك يقع ذلك الصوب في منزلة الثريا فيلقاهـا فيغزر مطره . ويجوز ان يكون الالتقـاء بمعنى التلقي مبالغة ، والثريا من الانواء الوَسْميـة اي الربيعيـة اي التي يكثر الامطار في زمان طلوعها في بلاد العرب، والمطر الربعي يضرب المثل بشدته ؛ قال النابغة :

وكانت لهم رِبعِيَّـةٌ يحذرونهـــا

اذا خَضْخَضَتْ ماءَ السماء القَبَائِلُ (١)

« واذا كان النثر بما له من تقاسيم اللفظ والمعنى والنظم، اتسع نطاق الاختيار فيه على ما بيناه بحسب اتساع جوانبهـــا وموادها وتكاثر اسبابها ومَوَاتِّـها ؛ وكان الشعر قد ساواه في جميع ذلك وشاركه ثم تفرد عنه وتميز بان كان حـــده لفظ موزون مقفى يدل على معنى . فازدادت صفاته التي احاط الحد بها بما انضم من الوزن والتقفية اليهـــا – ازدادت الكلف في شرائط الاختيار فيه لان للوزن والتقفية احكاماً تماثل ما كانت للمعنى واللفظ والتأليف او تقارب . وهما يقتضيان من مراعـاة الشاعر والمنتقـــد مثل ما تقتضيه تلك من مراعـــاة الكاتب والمتصفح لئلا يختل لها اصل من اصولها او يعتل فرع مـــن فروعها » . تقدم ان المؤلف جلب كلام ابي الحسن بن طباطبا في مزية الشعر استدلالاً به على مراعاة جانب اللفظ في معيار النقـد ولأن ما ذكره ابو الحسن في الشعر يجري بعينه في النثر .

والمواتُّ بتشديد المثناة الوسائل جمع ماتَّـة وهي الوسيـلة الى الشيء لانها تمت اليه اي تمد وتتوسل،يقال : مت بقرابة اي اتصل وتوسل ؛ ومعنى كلام المؤلف ظاهر ، وجواب اذا قوله « ازدادت

(١) القبائل قبائل الخيل جمع قبيلة وهي من اربعين من الخيل الى ستين .

الكلف الخ » .

« واذا كان الامر على هذا فالواجب ان يتبين ما هو عمود الشعر المعروف عند العرب ليتميز تليد الصنعة من الطريف ، وقديم نظام القريض من الحديث ، ولتعرف مواطىء اقدام المختارين فيما اختاروه ومراسم اقلام المزيفين على مازيفوه ، ويعلم ايضاً فرق ما بين المصنوع والمطبوع » .

تخلّص هنا الى تخصيص بحثه بالشعر وهو المقصود من هذه المقدمة ،ولذلك سيقول فيما يأتي « فهذه سبعة ابواب هي عمود الشعر » . وقد نبهنا آنفاً على ان هذه الفقرات تشير الى الهيئة المشبهة بهيئة السحاب والمطر والنبت في قوله آنفاً « فهناك يلقى ثريا البلاغة فيمطر روضها الخ .. »

والمصنوع هو الشعر الذي ادخل فيه ما يسمى عند اهل الفن بالصنعة وهي التهذيب والتنقيح للشعر وابداع المحاسن البديعية واللطائف اللفظية ، فكان علم اصحابه مكتسباً بالصنعة ،اي ان يعمدوا الى القواعد والنكت وصور الامثلة التي تلقوها بالتعلم فيراعوها في منشآتهم بالتروي والتثقيف، فيكون شعرهم كالشيء المصنوع باليد ؛ وقد يقع بعض ذلك عفواً بدون تعمد ولا تكلف ، وهو الغالب من شعر المولدين . قال ابن رشيق [1] :

(١) ص ٨٥ من العمدة طبع مطبعة أمين هندية بمصر .

« اشهر الشعراء في المصنوع ابن المعتز » .

والمطبوع هو الشعر الذي يصدر عن الشاعر بالسجية والطبيعة الناشئة عن تدربه بسماع اشعار البلغاء واندفاع طبيعته لمحاكاة اشعارهم حتى يصير الشعر البليغ له كالطبع فلا يصرف فيه تعمق روية ولا معاودة تنقيح وتثقيف .

« وفضيلة الأتيّ السمح على الأبيّ الصعب » .

تقدم بيان معنى الأتيّ والأبيّ في تفسير اول الديباجة ووصفهما هنالك بالمستسهل والمستنكر ووصفهما هنا بالسمح والصعب، والسمح صفة وهي لين الاخلاق وحسن المعالمة ؛ والصعب صفة من الصعوبة وهي الشدة في الخلق (فنقول وبالله التوفيق انهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته) .

ضمير انهم مراد به الشعراء وان لم يذكر معاد ، بناء على انه معلوم من سياق الكلام المذكور على الشعر ، وهذا هو المناسب للإخبار عن الضمير بفعل يحاولون . ويجوز ان يعود الضمير الى نقاد الكلام المذكور في قوله : « اعلم ان مذاهب نقاد الكلام » الخ .

وقد كنا وعدناك ايها الناظر عند قول المرزوقي آنفاً — وهم اصحاب المعاني — بان نبين المراد بالمعنى فهذا اوان ان نبينه .

اعلم ان الشيخ عبد القاهر قال في دلائل الاعجاز [1] : « ان قولنا المعنى في مثل هذا يراد بـــه الغرض ، الذي اراد المتكلم ان يبينه او ينفيه نحو ان نقصد تشبيه الرجـــل بالاسد فنقول : زيد كالأسد، ثم نريد هذا المعنى بعينه فنقول: كأن زيداً الأسد ، فتفيد تشبيهه ايضاً بالأسد ،الاانك تزيد في معنى تشبيهه به زيادة لم تكن في الاول، وهي ان تجعله من فرط شجاعته وقوة قلبه وانه لا يروعه بشيء بحيث لا يتميز عن الأسد ولا يقصر عنه حتى يتوهم انه اسد في صورة آدمي » .

ثم قال [2] : « الكلام على ضربين ، ضرب انت تصل منـه الى الغرض بدلالة اللفظ وحده ،وذلك اذا قصدت ان تخبر عن زيد مثلاً بالخروج على الحقيقة فقلت: خرج زيد ؛ وضربٍ آخر لا تصل منه الى الغرض بدلالة اللفظ وحده ولـكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها الى الغرض؛ومدار هذا الامر على الكناية والاستعارة والتمثيل» . ثم قال عقب ذلك : « واذا عرفت هذه الجملة فها هنا عبارة مختصرة وهي ان تقول المعنى ومعنى المعنى : تعني **بالمعنى** ، المفهوم من ظاهر

---

(١) صفحة ١٨٦ طبع مطبعة المنار

(٢) صفحة ١٨٩

اللفظ والذي تصل اليه بغير واسطة، **وبمعنى المعنى** ان تعقل من اللفظ ثم يفضي بك ذلك المعنى الى معنى آخر كالذي فسرت لك ».

ثم قال [1]: **فالمعاني الاول والمفهومة** من انفس الالفاظ . **والمعاني الثواني** التي يوماً اليها بتلك المعاني الاول . فهذا كلام الشيخ تمييزاً بين المراد بالمعنى . ثم ان علماء المعاني قفوا عليه بما يزيده بياناً ويعصم المتأمل عن اختلاط المقصود بكلمة معنى في مختلف اطلاقها مما افاده السكاكي في المفتاح وشارحو كلامه من ان المعنى الذى يجيش في نفوس البلغاء ثلاثة اقسام : ـ قسم ـ سموه اصل المعنى وهو الاغراض المجملة التي يراد افادتها من خبر او انشاء ؛ وهذا المعنى هو الذي يفاد بكلام بسيط،وهذا يجيش في نفوس الناس من الخاصة والعامة وليس هو موضوع الاختلاف . ـ وقسم ـ سموه معنى اول وهو الاغراض الخاصة التي يقصدها البلغاء لنكتة مثل رد الانكار ـ وقسم ـ سموه معنى ثانياً و يقال له معنى المعنى ، وهو الخواص الكلامية التي تفيد كيفيات في المعاني الأول ، مثل القصر والاستغراق والكناية والمبالغة ، وهذا خاص ببلغاء الكلام العربي:

فاذا اعلمت هذا فلنرجع الى بيان كلام المؤلف . **المحاولة** ابتغاء

---

(١) صفحة ١٩١ دلائل الاعجاز

الشيء وتطلبه . **والشرف** حصول صفات الكمال النوعي في بعض افراده فشرف المعنى ان يكون من احاسن المعاني المستفادة من الكلام بان يتلقى فهم السامع المعنى مستغنياً به في استفادة الغرض الذي يفاد به . وقد وصف المؤلف المعنى هنا بالشرف والصحة ووصفه فيما تقدم بالمعجبة الجزلة العذبة الحكيمة الزاهرة الفاخرة . وطريقة صوغ المعنى الشريف هي ان يلحظ البليغ ما يجيش في نفسه مما يريد ابلاغه الى نفس السامع فينشئه في نفسه ويكيفه باحسن صورة يرى انها تقع لدى السامعين موقعاً حسناً يفي بمراد الشاعر ويليق بالغرض الشاعري معتمداً في تحصيل تلك الكيفية على فطنته ودربته المتولدة في ذوقه بما ورد على ذهنه من محاسن البلغاءوالحكماء والعلماء فاكسب ذوقه صوراً غير جزئية يقيس عليها امثالها اذا اراد التعبير بابتكار مماثلات لها جديدة ، او بتصرف فيها يغيرها عن حالتها السابقة ، تصرفاً كثيراً او قليلاً،و يندفع اليها ذهنه سريعاً . ومن اكبر اسباب شرف المعنى ان يكون مبتكراً غير مسبوق، ثم ان يكون بعضه مبتكراً و بعضه مسبوقاً ؛و بمقدار زيادة الابتكار فيه على المسبوقية يدنو من الشرف . ولبشار وابي تمام وابي الطيب ابتكارات كثيرة ، ويقرب من ذلك ابو نواس وابن الرومي ثم المعري .

فاذا انشأ ذوق البليغ معنى لاحت له منه محاسن المعنى ونقائصه ومعائبه ، فاحتفظ بالمحاسن واكمله عن النقائص ومحا عنه المعائب . فاذا تقوم فيه ما من شأنه ان يفي باماله من ارضاء السامعين من اهل الصناعة وامتلاك استحسانهم فرآه محوكاً على منوال ما يحوك على مثله البلغاء فيما انتهت اليه مزوالته ودربته وثق بانه معنى شريف ، فعلم ان شروط شرف المعاني تختلف باختلاف محالها من اغراض الكلام : من اثارة حماس او استعطاف وابساس او غزل او نسيب او فخر او ذب عن شرف او نحو ذلك . قال ابن الاثير في المثل السائر « ان الكاتب او الشاعر ينظر الى الحال الحاضرة ثم يستنبط لها ما يناسبها من الغائب » .

وهذا عمل محتاج الى صفاء قريحة وكرم سجية وطول دربة وحسن اقتداء وتمييز بين المقبول والمرفوض .وقد ذكر ابن الاثير في المثل السائر[1] من المعنى الشريف قول ابي الطيب :

تلذ له المروءة وهي توذي ومن يعشق يلذ له الغرام

لولا لفظة توذي فيه فانها توذي .ولا يتوهم من كلام ابن الاثير ولا من مادة شريف ان شرط المعنى الشريف كونه من الفضائل او المعاني الحميدة ، فانه لو كان ذلك مرادهم لذهب معظم النسيب

(١) صفحة ٨٨

والهجاء ،ولذهب ما كان من الشعر كذباً ـ بل مرادهم ما افصح عنه قدامة في نقد الشعر(١) اذ يقول : ان مناقضة الشاعر نفسه في قصيدتين او كلمتين بان يصف شيئاً وصفاً حسناً ثم يذمه بعد ذلك ذماً حسناً غير منكر عليه ولا معيب من فعله ، بل ذلك يدل على قوة الشاعر واقتداره على صناعته . وانما قدمت هذا لما وجدت قوماً يعيبون قول امرىء القيس :

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع   فالهيتها عن ذي تمائم محول
اذا ما بكى من خلفها التفتت له   بشق وتحتي شقها لم يحول

وليس فحاشة المعنى في نفسه مما يزيل جودة الشعر فيه ـ اه.

واما صحة المعنى في كلام المؤلف فهي الدرجة الاولى للصعود في مصاعد الشرف، اي ان لا يكون في المعنى اضطراب او سوء ترتيب او انتقاض بعضه ببعض ، فيصير الإنشاء او الترسل اجوف ؛ قال ابن رشيق : « وفرقة من الشعراء اصحاب جلبة وقعقعة بلا طائل معنى الا قليلاً كابي القاسم ابن هانئ في قوله اول مذهبته :

اقامت فقالت وقع اجرد شيظم   وشامت فقالت لمع ابيض مخذم
وما ذعرت الا لجرس حليها   ولا رمقت الا برى في مخدم

فليس تحت هذين البيتين الا ان هذه المنسب بها لبست حليها

---

(١) صفحة ٤ ـ ٥ ، طبع الجوائب

فتوهمته بعد الاصاخة وقع فرس او لمع سيف» ـ ا ه . على ان في قوله « شامت » خطأً لأن الشيم هو النظر الى البرق ليعلم اين يذهب و يتوسم اين يمطر .

واعلم ان ضد المعنى الشريف المعنى السخيف لقلة جدواه او لدلالته على تعلق تفكير صاحبه بصور ضعيفة كما خطب والٍ باليمامة في موعظة فقال « ان الله لا يقارُّ عباده على المعاصي ، وقد اهلك أمةً عظيمة في ناقة ما كانتْ تساوي مائتي درهم » فلقبوه : مقوم الناقة . ومن المعاني السخيفة قول نُصَيب :

أَهيمُ بدعد ما حييت فان امت فياليت شعري من يَهيم بها بعدي

وقد عابته سُكينة ابنة الحسين . وضد المعنى الصحيح المعنى المخطىء والمختل ، كما قال شعرور فيما انشده الراغب الاصفهاني :

ازبيدة ابنةَ جعفرٍ طوبى لزائرك المُثاب

تُعْطِينَ من رجليك ما تُعطي الأكُفُّ من الرِّغاب

فانه انشده بحضرتها فقام اليه الخدم ليضربوه لكراهة قوله :« تعطين من رجليك » فمنعتهم وقالت : انه قصد مدحاً واراد ما يقول الناس : شمالك اجودُ من يمينه [1] ، فظن انه اذا ذكر

(١) تشير الى نحو قول النابغة مخاطبا عمرو بن الحارث الغساني ملك الشام ومفضلا له على النعمان بن المنذر اللخمي ملك الحيرة ـ كتاب الاغاني ـ « فوالله لشمالك خير من يمينه ولفقاك خير من وجهه الخ » .

الرَّجُل كان ابلغ ،وقد حَمِدْنا ما نواه ، وان اساء فيما أتاه .

ومن عجيب ما عرض للشعراء من سخيف المعنى مـا عرض لابي العتاهية من قوله في رثاء الخليفة :

ماتَ الخليفة ايها الثقـلان فـكأنني افطرتُ في رمضان

فان المصراع الثاني من سخيف المعنى ، وان بينه وبين المصراع الاول بونا بعيداً . وقد نظرت في مجموع شرف المعنى وصحتـــه وكيف يكتسبه البليغ فرأيت ان يقتدي مريد الاجادة بالذين شهد لهم البلغاء بالاجادة في غرض من اغراض المعاني فينسج على منواله، فاذا رام اثارة حماس جمع في ذهنه ما يلائم حـــالة الاستصراخ واستبطاء النصير . وتخيَّل المستنجد هضيم الجانب ذا جناح كسير . فاجتهد ان يكثر من المعاني التي من شأنها اثارة حمية المخاطب واقتداره، وعلى هذا المنوال ينسج . ومن صور صحة المعنى ان يكون مطابقـاً للواقع كما قال حسان :

وانّ احسن بيت انت قائله بيتٌ يقال اذا انشدتَه صدقا

ولكن ذلك ليس بشرط على الاطلاق وخاصة في الشعر ، فـإن الشعر يبنى على المغالطة والخيال ،وهذا الشأن يختلف باختـــلاف الاغراض والمقامات ، فلكل غرض من اغراض الـكلام ما يناسبه من صحة المعنى في بابه ؛ وللنثر مناسبات ليست للشعر وبالعكس .

وسيأتي للمؤلف ذكر الخلاف في ان احسن الشعر اصدقه او اكذبه او أقصده . ولما كان الخوض في صحة المعنى هنا وفيما يأتي متوقفاً على معرفة المراد من المعنى وجب ان نبين ما هو المعنى وما هي اقسامه عند أئمة البلاغة وهو المبحث الذي وعدنا به عند شرح قول المرزوقي « ومن البلغاء من قصد فيما جاش به خاطره... الخ » قال **« وجزالة اللفظ واستقامته »**

كثر في كلام أئمة النقد وصناعة الانشاء والشعر ذكر وصف الجزالة في محاسن الالفاظ ،وقد عدها المؤلف في محاسن المعاني ، ايضاً اذ قال « فطلبوا المعاني المعجبة من خواص اماكنها وانتزعوها جزلة عذبة » ...

ولم ار منهم مَن افصحَ عن مقومات هذا الوصف وشرائط حصولها ، وأنا ابذل مبلغ جهد الفكر في الكشف عن مفاد هذا الوصف ، واقدم ما هو منه وصف للفظ ثم أتبعه بما هو منه وصف للمعنى على سبيل الاستطراد واكمالا للفائدة .

فاما الجزالة فهي وصف للفظ مأخوذ من صفات الناس ؛ اذ الجزالة في الانسان هي جودة رأيه وكمال عقله ؛فبها يكون الانسان كامل الإنسانية .وهي في اللفظ عرَّفها ابن مكرم في لسان العرب فقال «الكلام الجزل القوي الشديد واللفظ الجزل خلاف الركيك» والركيك

هو الضعيف .

وظاهر ان مرجع هذا الى معنى اللفـظ المركب او المفرد لا الى مبناه وصورته ، فليست الجزالة تنافر الحروف ولا تنافر الكلمات ولا غرابة الـكلمة .

فلنتطلب حقيقة الجزالة عند أئمة النقد و نتقصّاها مـــن آثار كلماتهم، ونتعرفها من تعرف ضدها الذي يقابلونها به. فابن رشيق في العمدة ذكر الجزالة وعطفها على الفخامة عطفاً يظهر منه انه اراد به التفسير ؛قال[1]:منهم قوم يذهبون الى فخامة الـكلام وجزالته على مذهب العرب من غير تصنع كقول بشار :

إذا ما غضبنا غضبةً مضرية   هتكنا حجاب الشمس او قطرت دمَا

وقال[2] : وشبه قوم ابا نواس بالنابغة لما اجتمع له من الجزالة مع الرشاقة . ووصف عبد القاهر الجزالة فقال[3]: « من البراعـــة والجزالة وشبههما مما ينبيء عن شرف النظم » .

وقال[4] عند ذكر النظم « ان تقتفي في نظم الـكلم آثـار المعاني وترتبها على حسب ترتيب المعـاني في النفس » وذكر ابن شرف القيرواني في رسالة الانتقاد الجزالة فقال عند ذكر لبيد«شعره

---

(١) صفحة ٨٠ من الكتاب المذكور
(٢) صفحة ٨٥ من نفس الكتاب
(٣) صفحة ٤٦ من كتاب دلائل الاعجاز طبع مطبعة المنار
(٤) صفحة ٣٩ من الـكتاب المذكور

ينطق بلسان الجزالة عن جنان الاصالة . فلا تسمع الا كلاماً فصيحاً ومعنى مبيناً صريحاً[1]

وقال في ابن هاني الاندلسي « الا انه اذا ظهرت معانيه . في جزالة مبانيه . رمى عن منجنيق يؤثر في النيق » .[2] فجعل الجزالة وصفا للمباني اي الالفاظ . وقال ابن الاثير في المثل السائر في المقالة الاولى في الصناعة اللفظية[3] « قد جاءت لفظة واحدة في آية وفي بيت فجاءت في القرآن جزلة متينة وفي الشعر ركيكة ضعيفة فاثر التركيب في هذين الوصفين الضدين . اما الآية فقوله تعالى :ان ذالكم كان يؤذي النبي . واما البيت فقول ابي الطيب :

تلذ له المروءة وهي توذي ومن بعشق يلذ له الغرام

وقال ابو البقاء الكبوي في كلياته « الجزالة اذا اطلقت على اللفظ يراد بها نقيض الرقة » اه . وقلت قد رأيتهم يقابلون الجزالة مرة بالرقة ومرة بالركاكة ومرة بالضعف ومرة بالكراهة فتحصل لنا من معنى الجزالة انها كون الالفاظ التي يأتي بها البليغ الكاتب او الشاعر الفاظاً متعارفة في استعمال الادباء والبلغاء سالمة من ضعف

(١) صفحة ٢٤٤ من مجموعة رسائل البلغاء نشر الاستاذ محمد كرد علي طبع البابي بمصر سنة ١٣٣١

(٢) صفحة ٢٥١ من مجموعة الرسائل المذكورة

(٣) صفحة ٨٨ طبع بولاق سنه ١٢٨٢

المعنى ومن أثر ضعف التفكير ومن التكلف ومما هو مستكره في السمع عند النطق بالكلمة او بالكلام. فهذه الجزالة صفة مدح وقد مثلوا للركاكة بقول بعضهم:

يا عتب سيدتي أما لكِ دِينْ حتى متى قلبي لديكِ رهين
فانا الصبور لكل ما حمَّلتني وانا الشقي البائس المسكين

وفيه ركاكة من جهات: منها كون المعنى اجوف داثراً بين جميع العامة، وكون جل الألفاظ مرذولا وذكر البائس والمسكين بعد الشقي، وفي الشقي ما يغني عنهما. ومن الركاكة قول الخوارزمي يخاطب بديع الزمان الهمذاني:

واذا قرضتُ الشعر في ميدانه
لا شك انك يا اخي تتشقق[1]

فقوله في ميدانه لا موقع له، وقوله يا اخي لا مقام له، لأن الكلام في مقام مناظرة ومشادة.

واذا قابلوا الجزالة بالرقة فانما يريدون بها نسج الكلام على منوال القدماء في الشدة والقوة نحو شجع السلمي في مدح الرشيد:

وعلى عدوِّك يا بنَ عم محمد رَصدان: ضوء الشمس والإظلامُ
فاذا تنبَّه رعته واذا غفا سلَّتْ عليه سيوفك الاحلام

(١) مناظرته مع بديع الزمان المثبتة في رسائل البديع طبع الجوايب بالاستانة

ويريدون بالرقة نسجه على منوال المحدثين في اللين والظّرف، واظهر مثال جمع هذين الوصفين قول جميل :

الا ايها النُّوَّام ويحكم هُبوا أسائِلكُمُ هل يقتل الرجلَ الحُبُّ

قال بعض أئمة الادب «هذا البيت اوله اعرابي في شملته وآخره مخنث من مخنثي العقيق بتفككك »

الا ترى ان قوله ويحكم من كلمات التعجب وهي جزلة فلو قال افديكم لاعتاض عن الجزالة بالرقة — وقد تقال الجزالة في هذا الاطلاق على الكلام الذي يصدر في اغراض تناسبها الشدة كالرثاء والحماسة وتقال الرقة على كلام في اغراض يناسبها اللين واللطافة كالنسيب والزهريات والمُلَح . والجزالة في هذا كله من صفات الالفاظ باعتبار المعاني ويظهر تصرف البليغ في صناعتها بالخصوص في صوغه المعاني التي يصوغها في نفسه من مجاز واستعارة وتمثيل وتشبيه وكناية وانواع البديع . واما المعاني الوضعية فتأتي بطبع سياق الكلام وتأتي الالفاظُ تبعاً للمعاني .

واما استقامة اللفظ فهي وصف نسبي يعرض اللفظ في حين انتظامه في الكلام فان للالفاظ معاني موضوعة ، ولها معان كثر استعمالها فيها ، ولها معان يستعملها المتكلم فيها على وجه المجاز او الاستعارة او الكناية او نحو ذلك . فاستقامة اللفظ هي وفاؤه بالمراد

الذي استعمله فيه البليغ دون خطأ ولا تقصير ولا غموض . فمن الاستقامة السلامةمن التعقيد المعنوي او السلامة من الخطأ في استعمال اللفظ : اما لقصورٍ في معرفة اللغة واما لغفلةٍ كاستعمال اللفظ الدال على الاعم في حين ارادة الأخص . وفي بعض هذا المقصد أُلفت الكتبُ المنبهة على اخطاء الخاصة مثل دُرة الغواص للحريري ، ومثل مباحث من كتاب ادب الكُتاب لابن قتيبة وقد اشار المؤلف الى هذا بقوله الآتي «وعيار اللفظ الطبع والرواية والاستعمال — وقوله — وهذا في مفرداته وجملته مراعى »

(والاصابة في الوصف) المراد بالوصف معناه المصدري وهو التصوير والايضاح قال تعالى « وتصف السنتهم الكذب» وليس المراد ما يرادف الصفة من نحو النعت والحال لأن ذلك أخص من المقصود هنا . فاصابة الوصف هي ان يصوِّر المتكلم ما اراد التعبير عنه من المعنى تصويراً مطابِقاً لما عليه الشيء الموصوف في الخارج والواقع من غير انعكاس ولا انتقاص . وضد اصابة الوصف الخطأ فيه كُلاًّ وهو الغلط، او بعضاً وهو العيب اي عيب النقص في التوصيف. والشاعرُ اكثر تعرضاً لهذا من الكاتب لأن الشاعر يكثر منه تخيل المعاني عن غير مشاهدة فربما اخطأ في تخيله اشياء لم يَعْتَد الاحاطة بصفاتها او خفي عنه بعض ما يدق من مشاهدته اياها . وقد عُدَّ

بشار بن برد من اعجوبات الشعراء اذ كان مع عماه لايكاد يخطىء في الاوصاف الدقيقة ، وحسبك بيته المشهور :

كأنَّ مُثارَ النَّقْعِ فوقَ رؤوسِنا وأَسيافَنَا ليلٌ تَهاوَى كواكِبُه

(ومن اجتماع هذه الاسباب الثلاثة كثرت سوائر الامثال وشوَارِدُ الابيات) اي ان ما استوفى من النثر والشعر هذه الاسباب الثلاثة ، فيه توجد الامثال السائرة والابيات الشاردة ، فكثرت في المآثر الأدبية في الجاهليين والمولدين ، فالامثال موجودة في الشعر بان يكون المصراع او جزء منه سارَ مثلا كقول ابي اخزم الطائي : شنشنة اعرفها من اخزم . وقبله :

ان بني رملوني بالدم من يلق ابطال الرجال يكلم

وقول بشر بن ابي حازم « احق الخيل بالركض المعار » من ابيات انظرها في مجمع الأمثال في باب الحاء.. واما ما كان بيتاً كاملاً يتمثل به الأدباء فذلك لا يسمى مثلا وانما يسمى تمثلا . والامثال في النثر كثيرة أيضاً في كلام البلغاء واهمها امثال القرءان نحو قوله «ولا ينبئك مثل خبير»

ومن الأمثال ما لم يقع في اثناء كلام ولكن اصحابها من البلغاء نطقوا بها منفردة وهي معظم امثال العرب التي جمعها الميداني في كتابه مجمع الأمثال، ومن قبله الزمخشري في كتابه مستقصى الأمثال.

ومعنى السائرة الفاشية بين أهل اللسان فشُبه الفشو بالتنقل في امكنة كثيرة بجامع تكرر عروضها للاسماع كتكرر عروض الشخص في اماكن كثيرة وهو السير .وفي الكشاف « ولم يضربوا مثلاً ولا رأوه اهلا للتسيير ولا جديراً بالتداول والقبول إلا قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثم حوفظ عليه وحُميَ من التغيير» . وأراد بالغرابة انه قول زائد على المعتاد لخصائص فيه من دقيق المعاني وخفة اللفظ مع وفرة المعنى .

واما شوارد الأبيات فهي الأبيات البالغة مبلغاً من صحةالمعنى وجزالة اللفظ واصابة المعنى المفاد منها ؛ واطلق المؤلف عليها وصف الشوارد لعزة هذا النوع ،فشبهه بالوحش الشارد في حال كونه مطلوباً مرغوباً فيه لقانصه وعسير الوقوع في يده. فتلك العزة مع شدة الرغبة هي وجه الشبه فاستعار لها الشرود تمثيلا للحالة . وانما جعل المؤلف قِوام سوائر الأمثال وشوارد الأبيات هو اجتماع هذه الأسباب الثلاثة دون سبب مقاربة التشبيه ومناسبة الاستعارة لأن كثيراً من الأمثال والأبيات خلو من التشبيه والاستعارة كمثل قوله «لأمر مَّا جدَع قصير انفه» .وبيت امريء القيس« قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل...البيت »وقول المؤلف «سوائر وشوارد» اراد جمع سائر وشارد غير ان المثل والبيت مذكران فجمعه على وزن

فواعل إما على تأويل المثل والبيت بمعنى الكلمة واما على وجه الشذوذ كما قالوا فوارس وعواذل .

(والمقاربة في التشبيه) عطف على قوله والاصابة في الوصف . المقاربة القرب الشديد لان صيغة المفاعلة فيه للمبالغة اذ ليس المراد قرب كل من طرفي التشبيه من الآخر في الوصف فان التشبيه الحاق ناقص بكامل في وصف ، واما ما يسمى بالتشابه كالذي في قول ابي اسحاق الصابيء :

تَشَابَهَ دمعي اذ جرى ومدامتي فمن مثل ما في الكاس عيني تسكب

فذلك غلو في التشبيه ، يقرب من التشبيه المقلوب كما في قول محمد بن وهيب :

وبدا الصباحُ كأنَّ غُرَّتَه وجهُ الخليفة حين يُمْتَدَح

قال قدامة في نقد الشعر « فأحسن التشبيه ما اوقع بين شيئين حتى يدني بهما الى الاتحاد اهـ » . وشدة القرب هي قوة وجه الشبه في المشبه بحيث يستغني المشبه عن ذكر وجه الشبه . وليس المراد بالمقاربة تمام المماثلة بين المشبه والمشبه به في جميع الصفات بل قوة المشابهة في وجه الشبه . ولذلك كان من محاسن التشبيه الاستدراك فيه باستثناء ما لا مشابهة فيه من صفات المشبه به لكون المشبه اعلى من ذلك كما قال المعري :

تنازعَ فيك الشَّبْهَ بحرٌ وديمةٌ ولستُ الى ما يزعمون بمائل
اذا قيل بحر فهو مِلْح مُكدَّر وانتَ نمير الجود حلو الشمائل
ولستَ بغيث فوكَ للدر معدن ولم يُلْفَ دُر في الغيوث الهواطل

والمراد بالتشبيه في كلام المؤلف ما كان باداة شَبَه او كان تشبيهاً بليغاً لأنه عند المحققين من نوع التشبيه لا من الاستعارة . واما الاستعارة فسيخصها بالذكر .

(والتحامَ اجزاء النظم والتئامَها ، على تخيُّر من لذيذ الوزن) قال الجاحظ [1] « اجود الشعر ما رأيته متلائم الاجزاء سهل المخارج فتعلم بذلك انه افرغ افراغاً واحداً اه » .

والالتحام مطاوع لَحَمَ الثوبَ يلحمه اذا نسج لُحمته بضم اللام وبفتحه وهي ما يثني به الحائك نسج الثوب فيجعله اعلى فوق السدَى الذي هو اسفل النسج ، وفي الحديث « الولاء لُحمة كلُحمة الثوب » كذا في رواية ، فالالتحام ان تكون الكلمات بعد نظمها كالشيء الواحد . واجزاء النظم كلماته .

والالتئام مطاوع لاءمَه اذا جعله متلائم الاجزاء اي متناسبها بان تكون كلمات النظم متناسبة بحيث لا يكون في النطق بها بعد اجتماعها ما يثقل على اللسان ؛ فإن الكلمة قد تكون في ذاتها

(١) انظر العمدة ص ١٧١ جزء اول

غير ثقيلة فاذا ضمت الى غيرها لم تسرعها وثقلتها على اللسان ثقلاً لا يتمكن اللسان من تخفيفه ، ومثاله المشهور في بحث الفصاحة قول من لا يُعْرَف — وليس قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ — وقول ابي تمام كريم متى أمْدَحْه أمْدَحْه والورى معي

واذا ما لمتـــــه لمتـــــه وحدي

وانما قلت لا يتمكن من تخفيفه احترازاً من نحو قول البحتري :أأفاق صَبٌّ من هوًى فأفيقا فان اجتماع الهمزتين ثقيل يمكن التخلص من ثقله بتسهيل احدى الهمزتين .

وقول المؤلف : « على تخير من لذيذ الوزن » «على» فيه بمعنى مع ، واراد بالوزن وزن الشعر وهو ما يسمى بالبحر في اصطلاح العروضيين وما فيه من اعاريض وضروب . وقد بين المؤلف فيما يأتي من كلامه هذا القيد بقوله « وانما قلنا على تخير من لذيذ الوزن لان لذيذه يَطرب الطبعُ لايقاعه ويمازجه بصفائه كما يطرب الفهم لصواب تركيبه واعتدال نظومه » . وكأنَّ المؤلف يشير الى امرين احدهما مزية الشعر العربي باشتراط العرب الوزن فيه بحيث لا يكون الكلام شعراً ما لم يكن له وزن خاص . وثانيهما الاشارة الى تجنب الاعاريض والضروب الثقيلة والزحاف والعلة الجائزين المؤثرين ثقلاً في انتساب الحركات والسواكن من الميزان ، فيصير كالعثار في السير او كالكلام المقطَّع نتفاً غيرَ متماثلة . وقد يحصل

من تجمع الكثير من ذلك ما يوشك ان يخرج الشعر من كونه شعراً الى كونه نثراً كما في ابيات من مجمهرة عبيد بن الأبرص التي أولها:

عيناك دمعهما سروب كأن شأنيهما شعيب

وقد قرن المؤلف تخير لذيذ الوزن بالتحام الأجزاء والتئامها لأنهما من واد واحد، على ان بعض العروض في بعض الموازين لا يخلو من ثقل، مثل الضرب الثاني المقطوع من بحر المنسرح [1]. وبعضها من بعض العروض يكون اشبه بالسجع منه بالشعر مثل عروض المجتث المكفوف [2] وهي قليلة. وامثلة ما استوفى هذا الشرط الذي ذكره المؤلف من الشعر كثيرة وان شئت فانظر شعر عمر بن ابي ربيعة كقوله:

أمن آل نعم انت غاد فمبكر غداة غد ام رائح فمهجر

(ومناسبة المستعار منه للمستعار له)

المناسبة شدة الانتساب واراد بها قوة المشابهة وقد خص المؤلف الاستعارة بهذا الشرط ولم يدمجها في شرط مقاربة التشبيه مع ان الاستعارة من قبيل التشبيه، لان التشبيه الحاق صاحب وصف غير بيّن وصفه بصاحب وصف مشتهر به بواسطة حرف يدل

---

(١) هو مستفعلن مفعولات مستفعلن مستفعلن مفعولات مفعولن.

(٢) كقوله: ما كان عطاؤهن الا عدة ضمارا

على ذلك ظاهر اومقدر . واما الاستعارةفهي ادعاء ان صاحب وصف من نوع غير مشهور به الوصف قـد صـار فرداً من نوع مشهور بذلك الوصف بحيث استحق ان يطلق عليـه اسم ذلك النوع المشهور بالوصف . فالاستعارة مبنية على تناسي التشبيه وعلى ادعاء ان المستعار له من جنس المستعار منه فكانت لذلك جديرة بتمام المشابهة والمناسبة بين المستعار له والمستعار منه . ولما كانت الاستعارة تتفرع الى مصرحة ومكنية وتخييلية وتمثيلية ، وكان منهـا اصليـة وتبعية ومنها مرشحة ومجردة ومطلقة ، كانت دقة التشبيه فيها احق واولى من مطلق التشبيه ليحسن وقع كل قسم من هؤلاء في موقعه . قال في دلائل الاعجاز [1] « واما الاستعارة فسبب ما ترى لهـا من المزية انك اذا قلت رأيت اسداً كنت قد تلطفت لما اردت اثباته له من فرط الشجاعة ، وذلك انه اذا كان اسداً فواجب ان تكون له تلك الشجاعة العظيمة؛ واذا صرحت بالتشبيه فقلت:رأيت رجلاً كالاسد كنت قد اثبتها اثبات الشيء يترجح ان يكون وبين ان لا يكون اهـ.»ومن مراعاة المناسبة بين المستعار له والمستعار منه كان حقاً ان لا يغفل الشاعر عن استعارته فينقضها كقول ابي تمام :

تَحمَّلتُ ما لو حُمِّل الدهرُ شَطرَه لفكَّر دهرا ايُّ عِبئَيه اثقل

(١) صفحة ٥٦٦ ـ (٣)

فانه لما جعل الدهر بمنزلة الانسان المفكر كان عليه ان لا ينقض ذلك بان يجعل لتفكيره مدة يسميها دهراً فتصير مدته هي عينَه .

(**ومشاكلةَ اللفظ للمعنى**) المشاكلة المماثلة ، اذ الشكل الشبه والمثل . واراد بالمعنى هذا الغرض المفاد بالفاظ التركيب لا المعنى الموضوع له اللفظ لان المعنى الموضوع له لا يتصور في اشتراط مشاكلة بينه وبين اللفظ الدال عليه . فالمراد ان الغرض الشريف تناسبه الالفاظ الموضوعة لمعان حميدة ، وان الغرض الخسيس تناسبه الالفاظ الموضوعة للمعاني الخسيسة سواء كانت المعاني حقيقية ام كانت مجازية ومستعارة : فمقام المديح والرثاء مثلاً يناسبه المعاني الحميدة ومقام الهجاء يناسبه المعاني الذميمة كما في مقذعات شعر بشار ، بحيث لا يحسن ان يستعمل اللفظ الذي يفيد معنى حميداً في غرض خسيس ، وهذا ما اقتضاه قول المؤلف فيما يأتي في عبارة مشاكلة اللفظ للمعنى « وكانَ اللفظ مقسوماً على رتب المعاني قد جُعل الاخص للاخص والاخس للاخس فهو البريء من العيب » . وقال الجاحظ في البيان : جاء رجل الى محمد بن حرب الهلالي بقوم فقال « ان هؤلاء الفساق ما زالوا في مسيس هذه الفاجرة » فقال محمد بن حرب « ما ظننت انه بلغ من حرمة الفواجر ما ينبغي ان

يكنى عن الفجور بهم » يعني حيث كني بلفظ المسيس . وقال ابن زيدون في رسالته الى الوزير ابي عامر ابن عبدوس الطامع في صحبة ولّادة خليلةِ ابن زيدون « الساقطُ سقوطَ الذباب على الشراب » . وفي ذلك قول المتوكل عمر بن الافطس صاحب بطليوس يستدعي الوزير ابا طالب بن غانم احد ندمائه ليحضر الى الانس في روض :

أُقْبِلْ ابا طالب الينا وقعْ وُقوعَ النّدى علينا [1]

(وشدة اقتضائها للقافية حتى لا منافرة بينهما) أي ان يكون غرض الشاعر من البيت والفاظه يستدعيان الكلمة التي تقع قافية له استدعاء شديداً اي قوي المناسبة حتى تجيء كلمة القافية كالموعود المنتظر فلا تكون مغتصبة متكلفة الوضع في مكانها . والقافية اراد بها هنا الكلمة الاخيرة من كل بيت وهذا مأخوذ من كلام الأخفش [2]

قال الصفدي في شرح لامية الطغرائي « القافية المتمكنة هي

---

(١) انشده في قلائد العقيان في ترجمة قائل البيت وبطليوس من بلاد الاندلس.

(٢) هذا هو الذي جرت عليه عبارات الادباء واما القافية التي يضاف اليها علم القوافي فهي ما يتعرض له علم القوافي من احكام آخر البيت وهي الساكنان اللذان في آخر البيت مع ما بينهما من حروف متحركة ومع المتحرك الذي قبل الساكن الاول .

التي يبنى البيت من اوله الى آخره عليها فاذا ختم البيت نزلت في مكانها متمكنة قد رسخت في قرارها ، بخلاف القافيـــة القلقة التي اجتلبت لتمام الوزن، ومتى غيرت القافية المتمكنة بغيرها جاءت نافرة عن الطباع ؛ وزعم ان بعض الشعراء غيَّر قوافي لامية الطغرائي من اللام الى حرف العين وهذا عندي يتعذر لان الفاظ هذه القصيدة في غاية الفصاحة وقوافيها في غاية التمكن اه » .

وقد ذكر ابو العلاء في رسالة الغفران ان خلفـا الاحمر أنشد بمجلسه قول النمر بن تولب :

ألمَّ بصحبتي وهم هجـــوع خيالٌ طارق من ام حِصْنِ
لهـــا ما تشتهي عسلاً مصفى اذا شاءت وحُوَّارَى بسَمْنِ

فقـال لهم خلف : لو قال النمر في مـوضع ام حصن ام حفص ما كان يقول في البيت الثاني؟ فسكتوا؛ فقال خلف «وحُوَّارى بلَمْصِ» يعني الفالوذج . ثم ان المعري اخـذ يفرض ان تغير قافية البيتين على جميع حروف المعجم على تقدير تغيير كنية ام حصن حرف غير النون فـكانت القوافي متفاوتة في اقتضاء البيت اياها [1]

وقوله «حتى لا منافرة بينهما » اي بين المعنى ولفظه و بـين

---

(١) صفحات ـ١٢ـ١٣ـ١٤ـ١٥ـ١٦ـ رسالة الغفران طبع امين هندية بالقاهرة سنة ١٣٢١

القافية ، فجعل المؤلف اللفظ والمعنى كشيء واحد بالنسبة لشدة اقتضائها للقافية و بذلك قال بينهما ولم يقل بينها ،وهذه المنافرة كقول ابي عدي القرشي في قصيدة دالية :

ووقيت الحتوف من وارث وا ل وأبقاك سالماً رَبُّ هُود

فليس لهود مناسبة بالمعنى ولكنه اجتُلب لأجل الروي فهو قافية مغتصبة ، واعلى اقتضاء البيت للقافية ان تكون القافية كالموعود به المنتظر كما سيأتي في كلام المؤلف

(**فهذه سبعة ابواب هي عمود الشعر**) سماها ابواباً لان كل واحد منها يعتبر عنوان باب من ابواب فن النقد لو شاء احد تبويبه وقد علمت بعض ذلك .

والعمود عود عظيم يركز في الارض تقام عليه القبة او الخيمة وتشد باعلاه وينشر من مناط ربطه اديمُ القبة او ثوب الخيمة الى ان تشد بالارض بالاوتاد على شكل قبة او هرم . فما به قوام الشعر فهو كالعمود للبيت، وقد وقعت هذه العبارة للحسن الآمدي في الموازنة وساق في كلامه ما محصله: ان عمود الشعر هو الاسلوب الذي سلكه فحول الشعراء من عهد الجاهلية وما بعده في بلاغة الكلام واحسان المعاني والبعد عن التكلف وتجنب استكراه الالفاظ والمعاني . وذكر عن البحتري انه سئل عن طريقته وطريقة ابي تمام فقال البحتري

« انا اقوم بعمود الشعر وابو تمام كان اغوص على المعاني » فبين انه امتاز عن ابي تمام باجادة الناحية اللفظية من شرائط الاجادة وان ابا تمام امتاز بالناحية المعنوية . فتحصل ان عمود الشعر هو مجموع شرائط الاجادة اللفظية والمعنوية وهو الذي اعتمده المؤلف .

(ولكل باب منها معيار) المعيار اسم آلة للتَّعيير . والتعيير تحقيق الوزن او الكيل على ميزان او مكيال محقق المقدار مضبوط لا زيادة فيه ولا نقصان عن المقدار الذي يستعمل له ، يقال عَيَّر الدينار اذا وزنه بدينار محقق الوزن ، وعيَّرَ المكيالَ كذلك ، ويقال لما به الكيل او الوزن معيار وعِيَارٌ ايضاً كما سيجيء في عبارة المؤلف . ومعنى كلامه ان لكل باب منها ضوابط ورسوماً بها يكون الشعر حسناً مقبولا ومميزاً عن القبيح المردود عند أهل النقد ، مع بيان ما به ادراك تمييز الحَسَن من السيىء وهذا المعيار هو كقول علماء المعاني : إن تمييز الفصيح من غير الفصيح بعضه يبين في علم اللغة او التصريف و بعضه يدرك بالحس . فظهر ان المعيار مجموع الشروط وطريق ادراكها .

(فعيار المعنى ان يعرض على العقل الصحيح والفهم الثاقب) اي ضابط المعنى المشروط فيما تقدم بالشرف والصحة . يعني ان الوسيلة لتحصيل ملكة الحكم في استيفاء المعنى ما شرط فيه هي ان

يعرض المعنى على العقل الصحيح اي الفكر المستقيم. والفهم الثاقب وهو الفهم الذي لا تخفى عليه دقائق المعاني ولا تلتبس عليه الحقائق المتقاربة. شبه بآلة الثقب اذ تخترق الاجسام الصلبة وهو يغوص الى الحقائق التي يعسر فهمها على غالب الاذهان. ومراده عقل الشاعر وفهمه وهو المقصود، ومثله الكاتب وكذلك عقل السامع الذي هو من اهل الذوق والنقد والاختبار .

(فاذا انعطف عليه جَنْبَتَا القبول والاصطفاء مستأنساً بقرائنه خرج وافياً والا انتقص بمقدار شوبه ووحشته) قوله فاذا انعطف عليه تفريع على ان يعرض على العقل الصحيح اي فاذا انعطف عليه جنبتا قبول العقل الصحيح والفهم الثاقب اياه واصطفائه له خرج وافياً الخ ... واراد بهذا اعادة التنبيه على ان المعنى لما كان غير مستغن عن كلام يقع فيه فجودة المعنى مفتقرة الى جودة الكلام الذي يدل عليه .

واستعار الانعطاف الذي حقيقته الميل والمحبة الى معنى الرضا به والموافقة، اي : فاذا صادف المعنى من نفس عقل الشاعر صاحب الذوق المكين وفهمه قبولا ورضا فذلك المعنى واف بشرط الكمال لنوعه وهو الصحة والشرف والجنبتان تثنية جنبة بسكون النون وفتحها وهي الجانب اي اذا وافقه جانبا القبول والاصطفاء ووقع في

نسخة الاستانة جُبَّتا القبول تثنية جبة وهي ثوب له جيب وكان يلبس فوق الثياب الداخلية ،ونسخة جنبتا اولى وهي مماثلة لقول ابي العباس المبرد في اول باب من « الكامل »في اللفظ الغريب، اذ قال «فاذا انعطفت عليه جنبتا القبول غطتا على عُواره الخ » [1] . واضافة جنبتا او جبتا الى القبول والاصطفاء اضافة بيانية لان المضاف عين المضاف اليه. واستعارة جنبتا للقبول والاصطفاء لأن القبول والاصطفاء أشبها جانبين يحيطان بالمعنى و يحضنانه . واستعارة جبتا لهما لانهما اشبها ما يكتسي به المعنى بهجة . وقد اشار بالقبول الى صحة المعنى لأن المعنى لا يقبل الا اذا كان صحيحاً ، وكنى بالاصطفاء عن شرف المعنى لأنه اذا جاء شريفاً كان مرضياً في نفس المخترع فيما يقول والسامع فيما يسمع والناقدِ فيما يختار . وقوله مستأنساً بكسر النون حال من ضمير عليه و يجوز فتح النون ايضاً على معنى ان قائله اصطفاه وقبله واستأنس بما معه .

والاستئناس التأنس وهو ضد الوحشة وكنى به هنا عن المماثلة ، لأن المماثلة تستلزم التأنس بالمثل ،اذ الشيء يألف مثيله،فالمراد المماثلة في الصفة بين المعنى المقبول المصطفى و بين ما يقترن به من المعاني حتى يكون الكلام كله مفرغاً في قالب واحد من الكمال ، ولا يكون

(١) انظر صفحة ١٧ طبع المطبعة الخيرية سنة ١٣٠٨

بعض معانيه مقبولا و بعضها مكروهاً،وذلك ما سماه رؤبة بالقِران، كما سيأتي . ـ والقرائن جمع قرينة من الاقتران وهو الاجتماع وأنث القرائن على تأويله بالكلمات و بمقدار ما يقترن بالمعاني المرتضاة من معان مكروهة ينقص الكلام نقصاً قليلاً او كثيراً و يوحش السامع والناقد .

(وعيار اللفظ الطبعُ والرواية والاستعمال) يعني اللفظ الذي وصفه آنفاً بالجزالة والاستقامة. اي وسيلةُ اختبار تحقق ذينك الوصفين فيه ثلاثة اشياء — **الاول** الطبع ، وهو طبع البليغ وذوقه ودربته الحاصلة من كثرة مزاولة الكلام الفصيح ومعرفة دقائق الاستعمال العربي حتى تحصل له من ذلك ملكة يميز بها اللفظ المقبول المستحسن واللفظ المجفو المستنكر فينتقي ما يستحسن و ينبذ ما يستكره .

والثاني الرواية وهي رواية ذلك اللفظ فيما يُروى عن العرب وائمة الاستقراء ليعلم بذلك مواقعه من الكلام الفصيح فيتضح معناه عندهم فيكون صريحاً فيه .

والثالث الاستعمال ليظهر ما هو حقيقة وما هو مجاز و يظهر العام والخاص مثلاً .

(فما سلم مما يهجنه عند العرض عليها فهو المختار المستقيم)

قال الجاحظ في البيان « ومتى شاكل اللفظ معناه واعرب عن فحواه . وكان لتلك الحال وفقا . ولذلك القدر لِفْقا[1] . وخرج من سماجة الاستكراه . وسلم من فساد التكلف . كان قميناً بحسن الموقع. و بانتفاع المستمع »[2] . والهجنة العيب في الكلام .

(وهذا في مفرداته وجُمَله مراعىً لان اللفظة تستكره بانفرادها فاذا ضامَّها مالا يوافقها عادت الجملة هجينا) ومعنى كلامه ان اللفظة قد تكون مستكرهة في حد ذاتها وقد تكون حسنة فاذا ضمت اليها لفظة اخرى لا توافقها صارتا معاً مستكرهتين؛ ومعلوم انه اذا ضمت المستكرهة الى المستكرهة قوي الاستكراه فلم يحتج المؤلف الى التنبيه على هذه الصورة ولعل في العبارة حذفا .

قال عبد القاهر[3] «انك ترى الكلمة تروقك في موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر كلفظ الاخدع في بيت الحماسة :

تلفتُّ نحو الحي حتى رأيتني وَجِعْتُ من الاِصغاء لِيتا وأخدعا

---

(١) اللفق بكسر اللام وسكون الفاء شقة من ثوب تضم الى اخرى يقال لفق الثوب يلفق من باب ضرب اذا ضم شقة الى اخرى فخاطها . فاللفق بكسر اللام زنة فعل بمعنى مفعول مثل ذبح بكسر الذال .

(٢) ص ٢٠ جزء ٢ المطبعة الرحمانية بالقاهرة سنة ١٣٤٥

(٣) ص ٣٧ دلائل الاعجاز طبع المنار

فان لهـا ما لا يخفى من الحسن ، ثم انك تتأملها في بيت ابي تمام:

يا دهر قوم من اخدعيك فقد اضججت هذا الانام من خَرَقِكْ

فتجد لها من الثقل على النفس ومن التنغيص والتكدير اضعاف ما وجدت لها هناك من الرَّوح والخفة اهـ » . ولم يبين الشيخ سبب ثقل هذه اللفظة في موضع وحسنِها في الآخر لأنه احاله على الذوق . وزعم ابن الاثير في المثل السائر ان سبب ذلك هو إفراد الأخدع في بيت الحماسة وتثنيته في بيت ابي تمام وهو وهم من ابن الأثير . والحق ان سبب حسنها في بيت الحماسة مجيئها مستدعاةً للكلام الذي قبلها حيث كان ذكرُ وَجَعِ اللِّيتِ يستدعي وَجَعَ ما حوله وهو الأخدع فكانَ لفظ الاخدع فيه رشيقاً، وهو في بيت ابي تمام مغصوب للقافية ، اذ لا مناسبة في استعارة الأخدع للدهر في هذا المقام، اذ ليس في احوال الدهر ما يكون الأخدع رديفاً له كما يؤخذ من كلام الآمدي في كتاب الموازنة [1]

(وعِيَار الاصابة في الوصف الذكاء وحسن التمييز ، فما وَجَداه صادقاً في العلوق ممازجاً في اللصوق يتعسر الخروج عنه والتبرؤ منه فذلك سيما الاصابة فيه)

اي ان الذكاء وحسن التمييز يدرك بهما الوصف المصيب في

---

(١) ص ١٠٥ ـ ١٠٧ ـ طبع الجوايب

العلوق اي في تعلقه بالغرض الموصوف المشخص منطبقاً عليه ممازجاً له لا تقصير فيه . والسيما بالقصر العلامة ، قال تعالى « سيماهم في وجوههم »

(ويروى عن عُمَر أَنه قال في زُهير: كان لا يمدح الرجل الا بما يكون للرجال) اراد الاحتجاج بكلمة صدرت من احد اهل الذوق العربي بالسليقة وهو عمر بن الخطاب فانه قدم زهير بن ابي سُلمى على غيره من الشعراء بثلاثة امور سيجيء ذكر الأول والثاني منها في كلام المؤلف وثالثها ما هنا ،وهو انه لا يمدح الرجل الا بما يكون للرجال، وفي رواية: الا بما فيه.وما اقتصر عليه المؤلف اظهر في الغرض يعني انه يصيب الحز من وصف المعنى فاذا مدح احداً مدحه بصفات الكمال في الرجال، كقوله في معلقته يخاطب هَرِمَ بنَ سنان والحارث بن عوف .

تداركتما عبساً وذبيان بعد ما تَفَانوا ودقّوا بينهم عِطرَ مَنشِمِ
عظيمين في عليا معد هُديتما ومن يستبح كنزاً من المجد يعظُمِ

فهذا مدح بصفات الكمال والفتوة وهو افضل من قول النابغة :

رقاق النعال طيب حجزاتهم يحيون بالريحان يوم السباسب

ولما مدح عبيد الله بن قيس الرقيات عبد الملك بن مروان بقوله :

يأتلق التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب

عتب عليه عبد الملك وقال : انك قلت في مصعب بن الزبير :

انما مصعب شهـاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

وانما انـكر عليه من اجل انه عدل به عن بعض الفضائل النفسية الى ما هو من صفات الجسم في البهاء والزينة فـكان كالذي ينسب بمحاسن الحسناء .

واعلم ان هذا الاصل يختلف باختلاف العوائد واختلاف اغراض الناس من عناية بالفضائل النفسية او المحاسن الجسمية او كليهما ؛ قال تعالى : « وزاده بسطة في العلم والجسم » . وكذلـك اختلاف احوال الحضارة والبداوة ، وانظر قول جعفر بن عُلْبَة :

اذا هَمَّ ألقَى بين عينيه عزمه ونكَّبَ عن ذكر العواقب جانبا

ولم يستشر في امره غير نفسه ولم يرضَ الا قائم السيف صاحبا

تجد ما افتخر به جـارياً على خلق الأبطال واحوال اهل الشطارة ولو سمعه الحكيم لعده تهوراً وغروراً .

ومما يدخل في عكس ما قاله عمر بن الخطـاب ننقل قول ابي الطيب في شدة تعلقه بسيف الدولة

أَغارُ من السُّلافة وهي تجري على شفة الأمير ابي الحُسَين

لانه اتى بمعنى لا يليق بمثله مع مثل الامير ، وانما هو من المعاني التي تناسب احوال المقيمين .

(فتأمل هذا فان في تفسيره ما ذكرناه) امر بالتأمل لظهور ان عمر لا يريد بما يكون للرجال الاحترازَ عن صفات النساء لان ذلك لو وقع لكان غلطاً . ولا يريد ايضاً ان يكون ما يمدح به ليس بمدح . ولكنه اراد ان يمدح بما هو كمال حق . وقوله «فان تفسيره ما ذكرناه» اي هو جزئي من جزئيات قاعدة اصابة الوصف اي توصيف المعاني المقصودة ، فان المديح نوع من اغراض الكلام ومعانيه فاراد بالتفسير التمثيل .

(وعيار المقاربة في التشبيه الفطنةُ وحسنُ التقدير فأصدقُه ما لا ينتقض عند العكس) لأن الفطنة هي التي ترشد الى مشابهة شيء لشيء او اشياء ، واما حسن التقدير فهو الذي يختار الشاعر بواسطته اشبهَ الاشياء بالمشبه به في الصفات المقصودة. ومعنى اصدق التشبيه انه الاشد مطابقة لما في نفس الامر ، بحيث لو عكس التشبيه فجُعل المشبه به مشبهاً لكان صادقاً وهو التشبيه المقلوب ، لانه يتأتى عن شدة المشابهة ، كقول المتنبي :

وقابلني رُمَّانتا غُصنِ بانةٍ يميل به بدر ويمسكه حِقْفُ

فشبه الثديين برمانتين . وقال الآخر :

ورمانةُ شبهتها اذ رأيتُها بثدي كعاب او بحُقَّة مَرْمَرِ

(وأحسنه ما اوقع بين شيئين اشتراكهما في الصفات اكثرُ

من انفرادهما)

هذه الكلمة لقدامة في كتاب نقد الشعر [1]

(ليبينَ وجهُ التشبيه بلا كلفة الا ان يكون المطلوب من التشبيه اشهرَ صفات المشبه به واملكَـها له لانه حينئذ يدل على نفسه ويحميه من الغموض والالتباس)

اي احسن التشبيه ما كان وجه الشبه فيه ظاهراً حتى لا يحتاج الى ذكره فان كان خفياً كان من المناسب التصريح به كقول المعري في التشبيه المفرد :

رُبَّ ليل كأنه الصبح في الحُسْن وان كان اسودَ الطيلسان

وقول النابغة في التشبيه المركب :

فانكَ كالليل الذي هو مُدركي وانْ خِلْتُ ان المنتأى عنك واسع

(وقد قيل اقسام الشعر ثلاثة : مَثَلٌ سائر وتشبيهٌ نادر واستعارة قريبة)

لم يعزُ هذا القول الى مُعيَّن لأنه رآه كلاماً مقبولا لا مرية في صحته على حد قولهم « انظر الى ما قال لا الى من قال » ، وظاهر هذا الكلام حصر الشعر في هذه الثلاثة وهو حصر مقصود به المبالغة تنويهاً بهذه الثلاثة كما لا يخفى . والمراد بالتشبيه النادر هو الذي لا يهتدي اليه عامة الناس فالآتي به يدُل على حسن فِطنته وتخيله . قال

(١) صفحة ٣٢ طبع الجوايب بالاستانة

في أسرار البلاغة [1] والمعنى الجامع في سبب الغرابة ان يكون التشبيه المقصود من الشيء مما لا ينزع اليه الخاطر ولا يقع في الوهم عند بداهة النظر الى نظيره الذي يشبه بـه ، بل بعد تثبت وتذكر وفكر للنفس عن الصور التي تعرفها وتحريـك الوهم في استعراض ذلك. وقال [2] : ومما يزيد به التشبيه دقة وسِحْراً ان يجيء في الهيئات التي عليها الحركاتُ كقول الوزير المهلبي :

الشمسُ من مشرقها قد بدتْ مشرقةً ليس لهـا حاجب
كـأنها بُوتَقَةٌ أُحْمِيَتْ يجُـول فيهـا ذهَب ذائب

وقول المؤلف «واستعارة قريبة» كذا في سائر النسخ بالقاف. قال ابن رشيق [3] « انما يستحسنون الاستعارة القريبة وعلى ذلك مضى جلة العلماء ، واذا استعير للشيء ما يقرب منه ويليق به كان اولى مما ليس منه في شيء ولو كان البعيد احسنَ استعارة من القريب لما استهجنوا قول ابي نواس :

بَـحَّ صوتُ المـال مما منك يشكـو ويَصيح

فاي شيء ابعد من صوت المال فكيف حتى يبح من الشكوى

---

(١) ص ١٢٥ طبع المنار .
(٢) صفحة ١٤٥ طبع المنار .
(٣) صفحة ١٨١ من العمدة مطبعة امين هندية بالقاهرة سنة ١٣٤٦

والصياح آهـ » اي نفس اثبات الصوت للمال بعيد جداً واثبات البُحَّة لصوت المال ابعد ، وحاصل مرادهم ان يكون وجه الشبه الذي بنيت عليه الاستعارة واضحـــاً وان تكو ن ارادة الاستعارة واضحة حتى لا يحتاج الى القرينة او الى تقوية القرينة .

(وعيار التحام اجزاء النظم والتئامه على تخير من لذيـــذ الوزن ، الطبعُ واللسانُ)

اراد بالطبع طبـــع الممارس للادب كما قدمنـــاه في شرح قوله « اتسع مجال الطبع » وباللسان لسان الممارس كذلك وقد فصله بقوله:

(فما لم يتعثر الطبع بأبيّه وعُقُوده ولم يتحبّس اللسان في فصوله ووصوله بل استمرا فيه واستسهلاه بلا مـلال ولا كلال ، فذلك يوشك ان تكون القصيدة منه كالبيت والبيت كالكلمة تشابهاً لاجزائه وتقارناً) التعثر اضطراب الرجل في المشي من تعرض شيء في الارض ـ واراد بالأبيِّ الكلامَ المتكلَّف المستكره كما تقدم في تفسير قوله « من الأبي المستنكر » وفي احدى نسختي تونس ونسخة الاستانة بأُبَنه وضبط بضمة على الهمزة وفتحة على الباء فهو اسم جمع أُبنة وهي العُقدة تكون في العود فتتعرض لكَفِّ المثقف فتضطرب اليد اضطراباً يشبه العثار وهذا انسب بقوله يتعثر .والعقود جمع عَقْد بمعنى المعقود ، واكثر ما يطلق هذا الجمع على عقود البناء

دون عُقَد الخشب . والتحبُّس انحباس النفس على شيء أي امتناعها من تجاوزه يقال تحبَّسَ على كذا ولما كان ذلك يقتضي المكان عداه المؤلف بحرف الظرفية ثم ان اراد بالفصول والوصول المعنى الاصطلاحي عند علماء المعاني المتقدم في تفسير قوله «تناسُب الفصول والوصول» تعين ان يكون المراد بتحبُّس اللسان في ذلك ان يثقل عليه ما اختل من ربط الجمل بعضها مع بعض حتى خرج عن معتاد اهل الاستعمال فيعطف الجملة حيث اعتيد فصلها و يفصلها حيث اعتيد وصلها ، وفي اطلاق التحبس على هذا تكلف . ويجوز ان يكون اراد بالفصول والوصول المعنى اللغوي فالوصول اتصال ابيات القصيدة بعضها ببعض في تناسب معاني الابيات . والفصول فصول معاني البيت الواحد وهذا انسب بقوله : بل استمرا فيه واستسهلاه ...الخ

(وألا يكون كما قيل فيه :

وشِعْر كبعر الكبش فَرَّقَ بينه لسانُ دِعِيٍّ في القريض دخيلِ

(وكما قال خلف :

وبعض قريض الشعر اولاد علة يكد لسان الناطق المتحفظ

وكما قال رؤبة لابنه عقبة وقد عرض عليه شيئاً مما قاله فقال :

قد قلتَ لو كان له قرانُ في احدى نسختي تونس ضبط بفتحة على نون يكون (ألا يكونَ ...) فتعين ان تكون همزة الا

مفتوحة . وهي ان المصدرية ادغمت في لا النافية ،وهو عطف على قوله ان يكون ، من قوله :« يوشك ان يكون» ؛ واما ضبطه بهمزة في اسفل الالف فيقتضي ان يجزم يكن . والمعنى ان يشبه بعر الكبش في التفرق كما اوماً اليه بقوله «فرق بينه .. الخ » والغرض من هذا التشبيه التنفير من المشبه . وهذا البيت نسبه الجاحظ في البيان لابي البيداء الرِّياحي واسم ابي البيداء أَسْعد، ترجمه ياقوت في معجم الادباء.

ويكد في بيت خلف بالدال المهملة والكد شدة الطلب وفعل كد يكون قاصراً ويكون متعدياً الى المفعول وهو الوارد في هذا البيت اي يجعل لسان الناطق في كد اي شدة عمل كناية عن الاتعاب والمراد بالمتحفظ المتحفظ من الخطأ ، فهو يكلف لسانه النطق بالبيت على وجه الصواب ، يعني واما الناطق الذي لا يبالي بالخطأ فينطق به كيفما اتفق للسانه . والعلة بفتح العين ضرة المرأة واولاد العلة الإخوة للاب وشاع ان يكون بينهم جفوة لأجل جفاء الامهات ويستعار للاشياء المتقاربة غير المتناسبة كما في هذا البيت . وقد يستعار باعتبار آخر للأمور المتماثلة في الجملة مع اختلاف قليل كما في الحديث : الانبياء كأبناء عَلاَّت أبوهم واحد وامهاتهم متعددة . وخلف هو خلف الملقب بالاحمر ابن حيان مولى بلال بن ابي بردة وهو بصري علّامة في العربية ، وكان قريب الاصمعي واعلمَ اهل

عصره بالشعر توفي في حدود الثمانين ومائة .

وكلمة رؤبة التي قالها لابنه هي من الرجز . وفي البيان للجاحظ ، قال نوفل بن سالم او عبيد الله بن سالم لرؤبة بن العجاج « يا ابا الجحاف، مُتْ متى شئتَ — قال وكيفَ ذاك — قال — رأيتُ عقبة بنَ رؤبة يُنشد رجزا اعجبني — قال — انه يقول لو كان لقوله قران » .

فالمراد بالقول في قد قلت في الخبر الذي حكاه المؤلف ، ومعنى «انه يقول » في الخبر الذي رواه الجاحظ هو القول الحسن المقبول ، اي هو يقول الرجز الحسن ، ولكنه يأتي بالبيت الحسن ومعه البيت الذي لا يماثله في الحسن وهذا كما قال بعضهم «انا اقول البيت واخاه وانت تقول البيت وابنَ عمه » والقران المقارنة واراد به المماثلة .

(وانما قلنا على تخير من لذيذ الوزن لان لذيذه يطرب الطبع لايقاعه ويمازجه بصفائه . كما يطرب الفهم لصواب تركيبه واعتدال نظومه ولذلك قال حسان :

تغَنَّ في كل شعر انتَ قائلهُ إنَّ الغناءَ لهذا الشعر مضمارُ)

ساق بيت حسان حجة على ان ميزان الشعر من نوع التلحين الموسيقي، فاوزان الشعر وضروبه تتفاضل بمقدار شدة تناسب الحركات والسكنات كما هو شأن الموسيقى فحسان يرشد الشاعر الى اختبار

استقامة ميزانه بان ينشد ابياته بالترنم كالغناء ليستبين له مستقيم الوزن فانه اذا انشده فلم يتعثر لسانه في تساوي اجزائه علم استقامتها والاشعر باختلال فاصلحه بمقدار ما تحصل به المساواة وذلك انهم لم تكن عندهم قواعد العروض وانما كانوا يدركون الميزان بالسليقة . والمضمارُ المسافة التي تحدَّد للسباق بين الخيل والمعنى ان الغناء تظهر به خصال الشعر كما تظهر بالمضمار خصال خيل الحلبة .

(وعيار الاستعارة الذهن والفطنة ومَلاكُ الامر تقريبُ التشبيه في الاصل حتى يتناسب المشبه والمشبه به ثم يكتفى منه بالاسم المستعار لانه المنقول عما كان له في الوضع الى المستعار له)

ادراك حسن الاستعارة كادراك قرب التشبيه ولذلك جعل ملاك امرها قرب التشبيه وملاك الشيء بفتح الميم وكسرها قوامه الذي يملك به اي ما يملك به حسن الاستعارة ويحقق هو تقريب التشبيه . وتقريب التشبيه تقدم . وقوله « لانه المنقول عما كان له في الوضع الخ » تعليل ليكتفى منه اي لانه ادعى ان المشبه من افراد المشبه به فنقل اسم المشبه به الى المشبه واطلق عليه مع عدم ذكر حرف التشبيه لان الاستعارة مبنية على تناسي التشبيه

(وعيار مشاكلة اللفظ للمعنى وشدةِ اقتضائها للقافية طولُ الدُّرْبة ودوام الدراسة فاذا حكما بحسن التباس بعضها ببعض لا جفاء في خلالها ولا نبو ولا زيادة فيه ولا قصور ،وكان اللفظ

مقسوماً على رتب المعاني قد جعل الاخص للاخص والاخس للاخس فهو البريء من العيب)

احال المؤلف في هذا على طول الدربة ودوام المدارسة اي مدارسة اهل الفن في مختلف الشعر من نقد واختيار ؛ وهذا الفن من الحوالة على الذوق وقد قدمنا بيانه . وقوله لا جفاء هو بالجيم في اوله والجفاء التباعد وعدم الملاءمة وهو مقابل قوله بحسن التباس بعضها ببعض ؛ ووقع في بعض النسخ لاخفاء بالخاء المعجمة من فوق ولا موقع له في هذا المقام . والخلال بكسر الخاء المعجمة الخلة والود اي لا تنافر ولا تباعد في تناسب بعضها لبعض. والمراد بالاخص الكامل، كأنه جُعل من الخاصة اي اصحاب الكمال . ولذلك قابله بالاخس .

(واما القافية فيجب ان تكون كالموعود به المنتظر يتشوقها المعنى بحقه واللفظ بقسطه والا كانت قلقـــلة في مقرها مجتلبة لمستغن عنها)

قوله يتشوقها المعنى بحقه اي يقتضيها فجعل اقتضاء معنى البيت للقافية كالتشوق وهو شدة الشوق، وجعل ذلك الشوق ملابساً للحق اي يتشوقها تشوقاً حقاً، وجعل اللفظ متشوقاً للقافية بقسطه اي بحظه من البيت ، فان للالفاظ حظوظاً من المناسبـة كما تقدم ، الا ترى قول ابي الطيب :

رأيتك في الذين أرى ملوكا كأنَّك مستقيم في محال

فانك تجد كلمة محال وهي قافية البيت مغتصبة مجتلبة لاجل الروي ، والا فان الاستقامة يقابلها الاعوجاج ، بيد انه غفر له ذلك قوله بعده :

فان تفق الانام وانت منهم فان المسك بعض دم الغزال

فجاء بمعنى بديع وقافيـة متشوّقـة بحيث لا يمكن ان تعوض بغيرها . وقد تقدم بيان بقية كلام المؤلف في عد الابواب السبعة .

(فهذه الخصال عمود الشعر عند العرب فمن لزمها بحقها وبنى شعره عليها فهو عندهم المفلق المعظم والمحسن المقدم . ومن لم يجمعها كلّها فبقدر سهمته منها يكون نصيبه من التقدم والاحسان وهذا اجماع مأخوذ به ومتبع نهجه حتى الآن) .

قال قدامة في نقد الشعر «ما يوجد من الشعر الذي اجتمعت فيه الاوصاف المحمودة كلها ، وخلا من الخلال المذمومة بأسرهـا يسمى شعراً في غاية الجودة. وما يوجد بضد هذه الحال يسمى شعراً في غاية الرداءة ؛ وما يجتمع فيه من الحالين اسباب ينزل له اسماً (كذا) بحسب قربه من الجيد او من الرديء او وقوعـه في الوسط الذي يقال لما كان فيه صالح او متوسط او لا جيد ولا رديء » . وقول المرزوقي **سهمته** بضم السين المهملة جمع سهم بمعنى النصيب والحظ اي بقدر انصابه من تلك الخصال يكون نصيبه من الاحسان .

(واعلم ان لهذه الخصال وسائط واطرافاً فيها ظهر صدق الواصف وغلو الغالي واقتصاد المقتصد وقد اقتفرها اختيار الناقدين)

كلمة اقتفرها بتقديم القاف ، ثم تاء فوقية ثم فاء في نسخة الاستانة . يقال اقتفر الاثرَ اذ اتبعه والمعنى ان الناقدين تتبعوها فاختاروها وفي نسختي تونس وقعت بتقديم الفـاء على التاء ثم قاف وهو تحريف لا محالة ..

(فمنهم من قال احسن الشعر اصدقه قال لأن تجويد قائله فيه مع كونه في إسار الصدق يدل على الاقتدار والحـــذق . ومنهم من اختار الغلو حتى قيل احسن الشعر أكذَبُه لان قائله اذا أسقط عن نفسه تقابل الوصف والموصوف امتـد فيما يأتيه الى اعلى الرتبة وظهرت قوته في الصياغة وتمهره في الصناعـــة واتسعت موالجه ومخارجه فتصرف في الوصف كيف شاء لان العمل عنده على المبالغة والتمثيل لا المصادقة والتحقيق ، وعلى هذا اكثر العلماء بالشعر والقائلين له . وبعضهم قال احسن الشعر أقصَدُه لأن على الشاعر ان يبالغ فيما يصير به القول شعراً فقط فما استوفى اقسام البراعة والتجويد او جلها من غـــير غلو في القول ولا احـالة في المعنى ولم يُخرج الموصوفَ الى ان لا يؤمن بشيء من اوصافه لظهور السرف في اياته وشمول التزيد لاقواله كان بالايثار والانتخاب اولى)

هذا مقام شاع خوض البلغاء فيه من عهد الجاهلية وقد رويت قصة طعن النابغة على حسان في عكاظ — قول حسان :

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى واسيافنا يقطرن من نجدة دما

اذ أخذ عليه استعمال جمع القلة للجفنات وانه جعل لمعانها في الضحى وكان عليه ان يقول في الدُّجى وهي مشهورة في دواوين الادب العربي،وقد ذكرها قدامة في باب المعاني الدال عليها الشعر . وقد اختار أئمة الادب الغلو كما صرح به المؤلف هنا وسبقه اليه قدامة في نقد الشعر اذ يقول :ان الغلو عندي اجود المذهبين،وهو ما ذهب اليه اهل الفهم بالشعر والشعراء قديماً .قال:وقد بلغني عن بعضهم انه قال :احسن الشعر اكذبه اهـ .والاستعارة مبنية على الكذب وكذلك المبالغة .وعلى هذا الاختلاف جرى كلامهم في المبالغة المقبولة والمردودة كما هو مبين في فن البديع .

وقد نبه المرزوقي تبعاً لقدامة على ان مرادهم بالكذب هو الغلو وهو كذب تصاحبه قرينة ، على انه مخالف للواقع لغرض لطيف، وليس مرادهم الكذب مطلقاً .

وقوله «فمنهم من قال احسن الشعر اصدقه » قال حسان بن ثابت ، وربما نسب الى زهير : (١)

وانما الشعر لب المرء يعرضه على البرية ان كَيْسا وان حُمُقا

وان أشعر بيت انت قائله بيتٌ يقال اذا انشدته صدقا

(١) كما في صفحة ١٤٢ ـ ٣ العقد الفريد والمشهور في كتب الفن نسبته الى حسان

يعني بذلك ان يكون الشعر تعبيراً عن الامر الواقع وقد قدمنا الكلام عليه عند الكلام على شرف المعنى .

(ويتبع الاختلافَ مَيْلُ بعضهم الى المطبوع وبعضهم الى المصنوع. والفرق بينهما ان الدواعي اذا قامت في النفوس وحركت القرائح أَعْمَلت القلوبَ ، فاذا جاشت العقولُ بمكنون ودائعها، وتظاهرت مكتسبات العلوم وضرورياتها، نبعت المعاني ودرت اخلافها ، وافتقرت خفيات الخواطر الى جليات الالفاظ ، فمتى رُفض التكلف والتعَمُّل وخلّيَ الطبع المهذبُ بالرواية المُدَرب في الدراسة لاختياره، فاسترسل غير محمول عليه ولا ممنوع مما يميل اليه – أدّى من لطافة المعنى وحلاوة اللفظ ما يكون صَفْواً بلا كَدَر وعَفْواً بلا جَهْد ، وذلك هو الذي يسمى المطبوع . ومتى جُعل زمام الاختيار بيد التعمل والتكلف عاد الطبع مستخدَماً مُتَملَّكاً، واقبلت الافكار تستحمله اثقالها ،وتردده في قبول ما يؤديه اليها مطالبة له بالاغراب في الصنعة وتجاوز المألوف الى البدعة، فجاء مؤداه واثر التكلف يلوح على صفحاته وذلك هو المصنوع . وقد كان يتفق في ابيات قصائدهم من غير قصد منهم اليه اليسير النزر ،فلما انتهى قرض الشعر الى المحدثين ورأوا استغراب الناس للبديع على افتنانهم فيه أُولِعوا بتورده اظهاراً للاقتدار وذهاباً على الاغراب ؛فمن مُفْرط ومقتصد ومحمود فيما يأتيه ومذموم، وذلك على حسب نهوض الطبع بما يُحَمَّل ومدى قواه فيما يُطلَب منه

ويُكَلَّف . ـ فمَن مال الى الاول فلأنَّه اشبه بطرائق الأعراب لسلامته في السبك واستوائه عند الفحص ، ومن مال الى الثاني فلدلالته على كمال البراعة والالتذاذ بالغرابة) .

كلام المؤلف هنا مفصح اتم الافصاح غير محتاج الا الى شرح مفرداته: فقوله «اعملت القلوب» أي جعلتها عاملة والقلوب هي العقول؛ فالمراد بعملها هو التفكير في ترتيب المعاني للتعبير عنها ، ولذلك اعقبه المؤلف بقوله : فاذا جاشت العقول بمكنون ودايعها الخ ..

وقوله «لاختياره» متعلق بقوله « وخُلي الطبع » « والتعمل» تكلف العمل فعطف التكلف عليه عطف تفسير .

(واما تعجبك من ابي تمام في اختيار هذا المجموع وخروجه عن مَيدان شعره ومفارقته ما يهواه لنفسه واجماع نقاد الشعر بعده على ما صحبه من التوفيق في قصده ، فالقول فيه ان ابا تمام كان يختار ما يختاره لجودته لا غير ، ويقول ما يقوله من الشعر بشهوته ، والفرق بين ما يُشتهى وبين ما يُستجاد ظاهر ، بدلالة ان العارف بالبَزّ قد يشتهي لبس ما لا يستجيده ، ويستجيد ما لا يشتهي لبسه ، وعلى ذلك حال جميع أعراض الدنيا مع العقلاء العارفين بها في الاستجادة والاشتهاء . وهذا الرجل لم يعمد من الشعراء الى المشتهرين منهم دون الأغفال ، ولا من الشعر الى المتردد في الافواه والمجيب لكل داعٍ ، فكان امره اقرب ، بل اعتسف في دواوين الشعراء جاهليّهم ومخضرمِهم وإسلاميّهم

ومولدهم فاختطف منها الارواح دون الاشبـــاح ، واخترف الاثار دون الاكمام ، وجمع مـا يوافق نظمه ويخالفه ، لان ضروب الاختيار لم تخف عليه وطرق الاحسان والاستحسان لم تستتر عنه) ليس بعـد هذا البيانـ حاجـة الى الشرح .

(حتى انك تراه ينتهي الى البيت الجيد ، فيه لفظة تشينه ، فيجـبر نقيصته من عنده ويبدل الكلمة باختها في نقده) انما حـدا ابا تمام الى ذلك أنه لما قصد الى اختيار ما يختار مـن الشعر لم يقصـد صحة رواية اشعارهم لانها كانت مجموعة مروية ، وانمـا اراد تقريب المختار منها الى اذواق الناشئين في صناعة الشعر لتكون لهم مثـالا تحتذيه اذواقهم ، ومنوالا تُنسج عليه اشعارُهم ، ومع هذا فانه لا يصير الى هذا التغيير الا نادراً عند الاقتضاء ، فقد عمد الى قول الربيـع بن زياد في رثاء مالك بن زهير

من كان مسروراً بمقتل مالك   فليأتِ نِسوتَنا بِوَجهِ نهار

فغيره وجعله : فليأت ساحتنا ، وانما حمله على ذلك كراهية تعليق فعل الاتيان بالنسوة ؛ وكذلك عمد الى قول تأبط شراً :

وأُبْتُ الى فهم وما كِدت آيبا   وكم مثلِها فارقتُها وهي تصفر

فغيره : ولم أَكُ آيبا ، مراعاة لكون ما كدت يقتضي بظاهره انه نفى اقتراب ايابه مع انه قد آب . وفي داعي تغيير البيت نظر يعلم من

قوله تعالى : « فذبحوها وما كادوا يفعلون » ومن قصة ذي الرمه مع خلف الاحمر حين انشده قوله :

اذا غيَّر النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح

(وهذا يبين لمن رجع الى دواوينهم فقابل ما في اختياره بها . ولو ان نقد الشعر كان يدرك بقوله لكان من يقول الشعر من العلماء اشعر الناس . ويكشف هذا انه قد يميز الشعر من لا يقوله ويقول الشعر الجيد من لا يعرف نقده . على ذلك كان البحتري ، لانه فيما حكي عنه كان لا يُعْجَب من الشعر الا بما يوافق طبعه ومعناه ولفظه) قال في دلائل الاعجاز[1] روي ان عبيدالله ابن عبد الله بن طاهر سأل البحتري عن مسلم بن الوليد وابي نواس ايهما اشعر فقال: « ابو نواس » فقال: ان ابا العباس ثعلبا لا يوافقك على هذا، فقال: ليس هذا من شأن ثعلب وذويه من المتعاطين لعلم الشعر دون عمله ، انما يعلم ذلك من دفع في سلك طريق الشعر الى مضايقه وانتهى الى ضروراته . اه .

« وحكى الصولي انه سمع المبرد يقول : سمعتُ الحسن بن رَجاء يقول : ما رأيت احداً قطُّ اعلمَ بجيد الشعر قديمه وحديثه من ابي تمام . وحكي عنه انه مر بشعر ابن ابي عيينة فيما كان يختاره من شعر المحدثين فقال : وهذا كله مختار . هذا وشعره ابعد الاشياء من شعره ، وهذا واضح » .

(١) ص ١٨٣ طبع مطبعة المنار .

تقدمت ترجمة الصولي . واما المبرد فهو ابو العباس محمد بن يزيد الثُّمَالي بضم المثلثة وتخفيف الميم نسبة الى ثمالة لقب جده الأعلى ، وهو أَسْلَم بن أَحْجن الازدي نسبة الى ازد شنوءة بفتح الشين المعجمة، البصري الملقب بالمبرد بكسر الراء المشددة على الاصح المولود سنة ٢١٠ والمتوفى سنة ٢٨٥ ؛ امام العربية ببغداد ، كان فصيحاً علامة في العربية صنف كتاب الكامل جمع فيه من ابلغ الكلام وافصحه نظماً ونثراً ، ولُقب بالمبرد وقل من يتعرض لضبطه ، وقيل هو بكسر الراء المشددة وهو الذي اقتصر عليه ياقوت في معجم الادباء وانه لقبه به شيخه ابو عثماني المازني ومعناه المثبِّت للحق . وقيل بفتح الراء ، فقال ياقوت : هو تحريف حرفه اهل الكوفة . وقال ابن خلكان عن ابن الجوزي لقبه به شيخه ابو حاتم السجستاني في قصة ذكرها فهو بمعنى المحجول له برد. قلت :وسمعت من بعض مشايخي ان المبرد كان يقول : بَرَّد الله من بَرَّدَني،اي من يدعوه المبرَّد بفتح الراء على انه لقب نبز من البرودة . واما الحسن بن رجاء فهو اديب شاعر كان زمن الواثق ولم اقف على سنة وفاته، وذكر له الاغاني ابياتاً اربعة كتب بها الى الحسين بن الضحاك الشاعر في ترجمته. وابن ابي عيينة اسمه ابو عيينة[1]

(١) جمهرة الانساب لابن حزم ص ٢٠٩ طبع دار المعارف بمصر.

وكنيته ابو المنهال ونسب الى جده فهو ابو عيينة بن محمد بن أبي عيينة بن المهلب بن ابي صفرة الازدي [1] البصري ، كان شاعراً مطبوعاً من شعراء [2] دولة الامين [3] ومدح طاهر بن الحسين في خلافة المأمون. قال ابن الاثير في الكامل انه انشد طاهر ابن الحسين :

مـــا سَاء ظَنِّي الا بواحدةٍ في الصدر محصورة عن الكَلِم

يعرض بقتل طاهر محمد ابن يزيد المهلبي فتبسم طاهر وقال : اما والله ساءني من ذلك ما ساءك وآلمني ما آلمك الخ ترجمـــــه في الاغاني [4] . وقال « كان ابن ابي عيينة يهوى فاطمة بنت عمر بن حفص الملقب هَزَارَ مَرْدَ من قواد الدولة العباسية . وعن المبرد انه قال : لم يجتمع لاحد من المحدثين في بيت واحد هجاء رجل ومديح ابيه كما اجتمع لابن ابي عيينة في قوله يهجو خالداً عمه :

ابوك لنـا غَيث نعيش بو بله وانت جراد ليس يُبْقِي ولا يَذَرْ

وعاش ابن عيينة بعد موت المأمون ولم اقف على تعيين عـام وفاته . وقول ابي تمام في شعره « وهذا كله مختار » هو السبب في انه لم يثبت له شيئاً من شعره في ديوان الحماسة .

---

(١) الاغاني ج ١٨ ص ٨ طبع بولاق .
(٢) تاج العروس.
(٣) الـكامل لابن الاثير ج ٦ ص ٩٥ .
(٤) جزء ١٨ ص ٨ .

(واما ماغلب على ظنك من ان اختيار الشعراء موقوف على الشهوات اذا ما كان يختاره زيد يجوز ان يزيفه عمرو ، وان سبيلها سبيل الصور في العيون الى غير ذلك مما ذكرته فليس الامر كذلك) . اشار المرزوقي بقوله الى غير ذلك مما ذكرته الى الجواب عما تقدم من حكاية كلام من خاطبه بقوله « بل تعتقد ان كثيراً مما يستحسنه زيد يجوز ان لا يصادقه عليه عمر الخ » وقد استغنى المرزوقي بما بينه هنا من الاسباب عن التصريح بابطال قول السائل هناك « مع انه لا فضيلة لذلك ولا نقيصة لهذا الا ما فاز به من الجد عند الاصطفاء » ولذلك قال المؤلف هناك « الا انه اذا وضح السبيل وقعت الهداية بايسر دليل » . وقد ظهر من بيان المؤلف ابطال اعتقاد ان يكون التفاضل خلياً عن اسباب ظاهرة علمية، وانه ليس معلولا لعلل وهمية يتعلل بها الضعفاء في صناعة الادب اذا ضعفت مقدرتهم عن مجاراة السابقين في حلبة الادب فيزعمون ان تفوق المتفوقين لاجل انهم مبخوتون ، وقديماً اعتل المشركون لعجزهم عن معارضة القرآن بان قالوا هذا سحر . واما قول المعري:

لا تَطْلُبَنَّ بدون حظ رُتبةً قلمُ البليغ بدون حظٍّ مِغْزَل

فانمـــا جعل الحظ سبباً في نوال الرتب لا في استجادة الكلام وايضاً هو من مشايعة الاوهام. **(لأن من عـــرف مستور المعنى**

ومكشوفه ومرفوض اللفظ ومألوفه . وميز البديع الذي لم تقتسمه العارض ولم تعتسفه الخواطر . ونظر وتبحر . ودار في اساليب الادب فتخير . وطالت مجـاذبته في التذاكر والابتحاث ، والتداول والابتعاث . وبان له القليلُ النائبُ عن الكثير . والحظُ الدال على الضمير وورى تراتيب الكلام واسرارها . كما درى تعاليق المعاني واسبابها . الى غير ذلك مما يكمل الآلة ويشحذ القريحة ؛ تراه لا ينظر الا بعين البصيرة . ولا يسمع الا بأذن النَّصَفَة ولا ينتقد الا بيد المَعْدِلة . فحكمه الحكم الذي لا يبدَّل ونقده النقد الذي لا يُغيَّر)

بين المرزوقي بهذا الكلام اسباب الاختيار عند اهل النقد بانها اسباب حقيقية لا وهمية؛ قال الآمدي في الموازنه(١) : «وانبه على الجيد وأفضله . وأبين الرديء وارذله . وأذكر من علل الجميع ما ينتهي اليه التخليص وتحيط به العناية ويبقى ما لم يمكن اخراجه الى البيان . ولا اظهاره الى الاحتجاج . وهي علة ما لا يعرف الا بالدُّربة ودائِم التجربة وطول الملابسة ، وبهذا يفضل اهل الحذاقة بكل علم وصناعة من سواهم ممن نقصت قريحته وقلَّت دُرْبَتُه بعد ان يكون هناك طبع فيه تَقَبُّلٌ لتلك الطباع وامتزاج والا لا يتم ذلك » اه .

وقد اطنب المرزوقي في صفات الناقد الذي يقبل نقده وجعله

---

(١) صفحة ١٦٧ طبع الجوائب بالاستانة .

كالحاكم المصيب حكمه ؛ وقد قال بعض الشعراء :

يا ابا جعفر تحكم في الشعر وما فيك آلة الحكام

إنَّ نقدَ الدينار الا على الصَّيْرفِ صعب فكيف نقد الكلام

قد رأيناك لست تفرق في الاشعار بين الارواح والاجسام

ومراد المؤلف **بالبديع** المعنى المبتدَع وقد تقدم؛ **والمعارض** جمع معرِض كمنبر وهو الثوب للجارية وقد تقدم بيانه واراد بها الالفاظ التي هي للمعاني كالمعارض للجواري ؛ **والاعتسافُ** المشي في الرمل **والابتحاث** المبالغة في البحث **والنَّصَفة** بالتحريك اسم الانصاف . **والمَعْدِلة** بفتح الميم وكسر الدال العْدل . (**واعلم انه قد يعرف الجيد من يجهل الرديء . والواجبُ ان تُعرَفَ المقابحُ المتسخَّطَة كما عُرِفت المحاسن المُرتَضاة)** .

هذا شروع في التنبيه على علل اختلال الشعر وصفات رديئه بعد ان انتهى من بيان اسباب الجودة والاختيار . واراد بقوله قد يعرف الجيد من يجهل الرديء انه قد يتمحض بعض الادباء للانكباب على مطالعة المختارات والدواوين المشهود لها بالاجادة ولا يشتغل بتتبع ساقط الاشعار لان في طباع الناس اتباع الكمال ومحبة العكوف على الحسن ارضاءً لميل النفس الى محاسن الاشياء وجمالها فيبقى غير عالم بالرديء وبتطاول الإعراض عن تتبع الرديء

يضعف انتباهه الى علل السقوط واسباب الرداءة . وليس مراده بجهل الرديء العَجْز عن ان يدرك رداءة الرديء فان من عرف الجيد لا يعدم ادراك ما ليس بجيد كما دل عليه قوله : «والواجب ان تعرف المقابح الخ » فكما يجب معرفة اسباب الاختيار يجب معرفة علل النقد فلا جرم ان كان واجباً على من يعنى بالادب اهتمامه بمطالعة ما للشعراء من اسقاط[1] واغلاط كما يهتم بما لهم من بدائع انماط ، فان ذلك يزيد الحسن في نفسه حسناً،ولان ذلك يكسبه ملكة الحكم ومقدرة الاقناع باسباب الارتفاع والانحطاط .

(وجماعها اذا اجملت انها اضداد ما بيناه من عمد البلاغة وخصال البراعة في النظم والنثر) .

اراد بعمد البلاغة ما سماه فيما تقدم عَمُود الشعر وهو الابواب السبعة والعَمَد بفتحتين وبخصال البراعة ما سبق من شروط الاجادة عند البلغاء .

(وفي التفصيل: كأن يكون اللفظ وحشياً)

قوله وفي التفصيل عطف على قوله اذا أجملت وهذا تفصيل ما اجمله آنفاً . وقوله « كأن يكون اللفظ وحشياً » يقال وحشي ويقال حُوشي بطريق القلب المكاني ،والوحشي :اللفظ الذي يقل استعماله في

---

(١) جمع سقط وهو الشيء الساقط .

الكلام الفصيح او يكون مراد الشاعر به غير معلوم ، ومثاله ما وقع في شعر ابي حزام غالب العُكْلي من شعراء زمن المهدي من قوله :

تذكرتُ سَلمى وأَهْلاً سَها فلم أَنْسَ والشوقُ ذو مَطْرُؤَة

وانشد احمد بن جحدر ابنَ الاعرابي ابياتاً منها قوله :

حلفتُ بما ارقَلَتْ نحوَه هَمَرْجَلَةٌ خَلْقُها شَيْظَم

فقال له ابن الاعرابي ان كنت جَادًّا فحسبيك الله ... اي ان لم يكن مقصدك بجلب هذين اللفظين المزح فقد اسأت في صناعة الشعر، فلذلك دعا عليه بحسبك الله الذي يستعمل كناية عن جزاء ارتكاب السيئة لا دعاء (**او غيرَ مستقيم**) اراد به ما خالف قياس اللغة كقول ابي النجم « الحمد لله العلي الاجلل » بفك الادغام . او ما خفي اشتقاقه كقول العجَّاج « وفَاحما ومرسنا مسرَّجا » فلم يُدْرَ أأراد انه منسوب الى السيف السريجي في الدقة والاستواء ام الى السراج في البريق (**او لا يكون مستعملا في المعنى المطلوب**) يعني به الغلط في استعمال اللفظ كما تقدم عند قول المؤلف « مقوِّماً من أَود اللحن والخطأ » من قول المسيب بن علي :

وقد اتلافى الهم عند احتضاره بناج عليه الصَّيْعَرِيَّةُ مِكْدَم

أو فساد التشبيه كقول ابى تمام :

لا تسقني ماء الملام فانني صب قد استعذبت ماء بكائي

حيث شبه اللوم بالمـــاء المشروب . (**فقـد قـال عمر رضي الله عنه في زهير : لا يتتبع الوحشي ولا يعاظل في الكلام**) ساقـه المؤلف حجة على السلامة من الوحشية ومن عدم الاستقامة ولذلك لم يقتصر على احدى الجملتين كما اقتصر على الجملة الثالثة فيما تقدم من قول عمر «ولا يمدح الرجل الا بما يكون للرجال» حيث كانت ترجع الى حسن معنى الوصف .

وقول عُمر « ولا يعاظل الكلام » ولا يعاظل الكلام بسقوط حرف الظرفية ولا يتعدى فعل يعاظل إلى الكلام بنفسه فهو من باب نزع الخافض . وفي كتاب جمهرة اشعار العرب لابي زيد [1] « ولا يعاظل بين الكلامين » وفي نقد الشعر والموازنة والمثل السائر « ولا يعاظل بين الكلام » واضافـة بين الى الكلام وهو مفرد لانـــه على تقدير الأجزاء اي بين اجزاء الكلام ومفرداته . ومعنى يعاظل يجعل الكلام متعاظلا كما جـــاء في الحديث « سابقَ بين الخيل » اي جعلهـــا تتسابق . واختلفت اقوالهم في تفسير المعاظلة اختلافاً يتبعون فيه ما يقتضيه اشتقـــاق اللفظ : ففسر ابو زيد المعاظلة بان يردد الكلام في القافيـــة لمعنى واحد « يعني الايطاء » . وفسرها قدامة بانها ان يدخل في الكلام ما ليس من جنسه وما هو غير لائق به ؛وهذاتفسير غلّطه فيـــه

(١) صفحة ٢٥ طبع بولاق سنة ١٣٠٨ .

الآمدي في الموازنة . وفسر هو المعاظلة بانهـا شدة تعليق الشاعر الفاظ البيت بعضها ببعض ،وان يداخل لفظة من اجل لفظة تشبهها او تجـانسها وان اختل المعنى بعض الاختلال ، كأنه يعني الافراط في التجنيس، ومثّلها بقول ابي تمام :

خَان الصفاء اخٌ خان الزمانُ اخاً عنه فلم يتخوّنْ جسمَه الكَـمَدُ

لكثرة الفـاظ خان وتخون واخ واخا . وفسرها ابن الاثـير في كتاب المَثل السائر بما يشمل التعقيد اللفظي والتعقيد المعنوي والتنافر وتكرارَ العوامل وتتابع الاضافات . و يظهر ان المؤلف يجعـل المعاظلة كون اللفظ غير مستقيم الدلالة او غير مستعمـل في المعنى المطلوب ، وهذا تفسير يشمل جميع ما فسروا به المعاظلة، فالله دره في ايجازه واعزازه ،وايا ما كان تفسير المعاظلة فهي عيب يتعلق بالالفاظ من حيث هي دالة على المعاني التي تفهم منها . **(او يكون فيه زيادة تفسد المعنى او نقصان)** . اما الزيادة المفسدة فكقول الشاعر :

بأطيبَ من فيها لوَ انّك ذقتَه اذا ليلةٌ اسحَتْ وغارت نجومها

فقوله « لو انك ذقته » زيادة تفسد المعنى لانها توهم انه لو لم يذقه لم يكن طيباً .

واما النقصان المفسد للمعنى فهو ان تترك من اللفظ مـا به تمام

المعنى المراد كقول الشاعر :

لا يَرمَضون اذا حَرَّتْ مشافرهم ولا ترى منهم في الطعن ميّالا[(١)]
و يفشلون اذا نادى ر بيئهم الا اركبُنَّ فقد آنستُ أبطالا[(٢)]

فقوله و يفشلون اراد ان يقول ولا يفشلون فحذف لا ، فصار الى ضد المعنى . ومن هذا النوع الايجاز الذي لا يفي بالمقصود كقول الحارث بن حلزة :

والعيش خير في ظلا ل النُّوك ممن عاش كدا

اراد ان العيش الناعم في حالة الحماقة خير من العيش بكد في حالة العقل فقصُر عن المراد . **(او لا يكونَ بينَ اجزاء البيت التئام)** .

تقدم الكلام على هذا عند الكلام على باب التحام اجزاء النظم وعند الكلام على عيار التحام اجزاء النظم **(او تكونَ القافية قلقةً في مقرها او معيبةً في نفسها)** . اما قول المؤلف او تكون القافية قلقة في مقرها فهو ما تقدم الكلام عليه عند

---

(١) ارمض يرمض رمضا من باب تعب اذا رعى البعير في الرمضاء . وحرت اصابها الحر . شبههم بإبل لا ترضى برعي المرعى الذي اصابته الحرارة.

(٢) يصف قوماً باباء الضيم فشبههم بابل لا ترمض اي لا ترعى الرمضة وهي الارض التي اشتدت حرارة مرعاها من شدة الرمضاء وفي «لا يرمضون» استعارة مكنية، ووصفهم بالنشاط اذا دعوا الى منازلة الابطال .

الكلام على شدة اقتضاء اللفظ والمعنى للقافية من الابواب السبعة التي هي عمود الشعر وعند الكلام على عيار شدة اقتضاء اللفظ والمعنى للقافية.

واما قوله « او معيبة في نفسها » فالمراد به ان تكون كلمة القافية معيبة بعيب ممّا يرجع الى عيوب اللفظ مثل قول المتنبي « يصيح القطا فيها صياح اللقالق » وقوله :

لو استطعت ركبت الناس كلهم الى سعيد بن عبد الله بُعرانا

فان اللقالق وبعرانا لا يخلوان عن كراهة في السمع . (**او يكون في القَسْم او التقابل او في التفسير فساد**). اما فساد التقسيم فهو ضد صحة التقسيم وهو يكون على وجهين احدهما ان يأتي الشاعر بتقسيم وليس هو بتقسيم كقول هذيل الاشجعي :

فما برحت تُومي اليَّ بطرفها وتُومض احياناً إذا خصمها غفل

فإن تومي وتومض متساويان ؛ وقريب منه قول لبيد :

كدخان مُشعلة يُشَبّ ضرامها

ثم قال بعده فيها :

كدُخان نارٍ ساطع اسنامها

وثانيهما ان يترك شيئاً من التقسيم كقول جرير :

كانتْ حنيفة أثلاثاً فثُلثهم من العبيد وثُلثٌ من مواليها

فسكت عن الثلث الثالث .

واما فساد التقابل فهو فساد التضاد المقصود كقول ابي عدي :

رُحماء لذي الصلاح وضَرَّا بُون قدما لِهَامَةِ الصِّنديد

فقابل ذا الصلاح بالصنديد وقد يكون الصنديد صالحـاً لهم ، أفيضر بون هامته ؟ وقد يكون غير الصنديد شريراً لهم افلايضر بون هامته ؟ واما فساد التفسير فهو فساد البيان بان لا يلاقي البيانُ ما أجمل سابقاً كقول بعضهم مادحاً :

فيا ايها الجيران في ظُلَم الدُّجى ومن خافَ ان يلقاه بَغْيٌ من العدى

تعالَ اليه تَلْقَ من نور وجهه ضياءً ومن كفيه بَحْراً من النَّدى

فتبيين ما يترقبه في ظلمة الدجى بحصول ضياء وجه الممدوح تفسير صحيح ، ولكن تبيين ما يترقبه خائف البغي بحصول الكرم تبيين فاسد . ومن فساد التفسير سخافته ، كقول عز الدين الموصلي في بديعيته :

ذِكر الامامِ وإبْنَيه يُفسره عليٌّ والحسنانِ اكْرِمْ بذِكْرِهِم

على ما في البيت من ضرورات ثلاث . **(او في المعنى تناقضٌ)** بحيث يقتضي بعض المعاني نقيض البعض الآخر في الغرض الواحد بلا تأويل، وتجب مراعاة شروط التناقض في هذا، وهي ما يعبر عنها بالوَحَدَات الثمان في علم المنطق، والا فإن من التناقض ما هو معدود من لطائف الأساليب كقوله تعالى : « وما رميت اذ رميت ولكنَّ

الله رمى ».ومنه ما يسمى بالطباق ، وهو الجمع بين معنيين متضادين ولو في الجملة .

ومثال ما وقع فيه التناقض وعِيب على قائله قولُ زهير :

قف بالديار التي لم يعفِها القِدَم بَلَى وغَيَّرَها الأرواح والدِّيَم

اذ جمع بين قوله لم يعفها وبين نقض النفي بحرف بلى ، وقد يغتفر ذلك لضرب من التلميح كقول بعض الادباء :

أَسْكِرُ بالأمس ان عزمتُ على الشرب غداً إن ذا من العجب

وليس ذلك بظريف لما فيه من الغلو ،وكذا قول ابن الفارض :

شَرِبنا على ذِكر الحبيب مدامة

سَكِرنا بها من قبل ان يُخْلَقَ الكَرْمُ

وقد عابوا على عبد الرحمان بن عبيد الله القس قوله :

فاني اذا ما الموت حل بنفسها يُزَالُ بنفسي قبل ذاك فأُقْبَرُ

لان شرط اذا يقتضي المستقبل ، اي اذا هي ماتت يموت هو قبل ذلك. **(او خروج الى ما ليس في العادة او الطبع)** ،سماه خروجاً لانه مخالفة لصحة الكلام فكأن صاحبه خرج من حظيرة معاني الشعر الى الهوس ،وهو يرجع الى الخطأ في المعاني.مثال الخروج الى ما ليس في العادة قول ابي الطيب :

يُراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل

اذ ليس من عادة المحبين الرغبة في نسيان الأحبة ، الا ان يكون الذي اراد منه ذلك غيرَ نفسه فتأمَّله!.. ومثال الخروج الى ما ليس في الطبع قول المرار :

وخال على خَديكِ يبدو كأنه   سنا البرق في دعجاء باد دُجونها

فجعل الخال مفرطاً في البياض وطبيعة الخال السواد ، وإلا فقد انقلب بهقا . (**او يكون الوصف غير لائق بالموصوف**).من اغلاط الشعراء في الجاهلية في الوصف قول المسيب بن علس :

وقد اتلافى الهم عند احتضاره   بناج عليه الصيعرية مكدم

الناجي الجمل الفحل والصيعرية سمة يسم بها اهل اليمن النوق الكرائم،فلا يوسم بها الجمل- وقد تقدم آنفاً.وقد ورد في كتب الأدب كثير من هذا كما في الموازنة للآمدي، ولذا قال المؤلف فيما مضى « وعيار الاصابة في الوصف الذكاء وحسن التمييز » .

وقد يجي الخطأ من حَصَر في التعبير كما وقع لعبدالله بن السمط في مدح الخليفة المأمون العباسي قوله :

اضحى امامُ الهدى المأمونُ مشتغلا   بالدين والناسُ بالدنيا مشاغيل

قالوا :لما سمعه المأمون نظر اليه نظرة كاد ان يصطلمه عليها؛ فاما حــدَّثَ عبدُ الله بذلك عُمارةَ بن عَقيل بن بِلال بن جرير قال عُمارةُ « لقد احسن اذ لم يؤدبك . واذا لم يشتغل هو بالدنيا فمن

يشتغل بها . هلا قلت كما قال جدّي جرير في عمر بن عبد العزيز :

فلا هو في الدنيا مضيعٌ لدينه ولا عَرَض الدنيا عن الدين شاغله

وفي رواية انه قال : ما زدت على ان جعلت امير المؤمنين عجوزاً في محرابها . **(او يكونَ في البيت حشو لا طائل فيه)** ، الحشو بكسر الحاء هو الكلام الذي ليس فيه فائدة في الغرض بمعنى المحشو لانه لا جدوى له الا الزيادة في الكلام ، كقول مصقلة بن هبيرة :

أَلِكْنِي الى اهل العراق رسالةً وخُصَّ بها حُيِّيت بكرَ بنَ وائل

فقوله : حييت — دعاء لا جدوى له في هذا المقام . ومنه قول ابي فراس :

ولكنني والحمد لله حازم أَعِز اذا ذلت لهن رقاب

فحمد الله هنا حشو ، اذ لاجدوى له في الغرض . ومن قبيحه[1] قول بعضهم :

امَّ سَلَّام اثيبي عاشقاً يعلم الله يقيناً ربَّه

أنكم في عينه من عيشه فاعلميه يا سُليمى حَسْبُه

فقوله: يقينا ربه، حشوان؛ وكذلك: في عينه؛ وكذلك: فاعلميه يا سليمى . **(الى غير ذلك مما يحصّله لك تأملك جُمَل المحاسن وتفصيلها وتتبعك مايضادها وينافيها وهذا هين قريب)،**

---

(١) انشده قدامة في كتاب نقد النثر ص ٧٤.

اي ان المحاسن واضدادها لا تنحصر فيما ذكره فقد تذكر بعض المحاسن ولا تذكر اضدادها وقد تذكر بعض العيوب ولا تذكر محاسن الخلو عنها. والتأمل في الجميع يحصل للمتأمل انتباها الى ادراك ما عسى ان يغفل عنه .

واسم الاشارة في قوله – وهذا هين – راجع الى المذكور آنفاً من قوله – واعلم انه قد يعرف الجيد من يجهل الرديء الى قوله وهذا هين قريب – يعني انه انما اهتم ببيان المقابح اجمالا ثم تفصيلاً لتكون نموذجاً من علل النقد واسباب السقوط بحيث يتمكن مزاولها والمتأمل فيها وفي ما يماثلها ان يبين وجه رداءة ما يحكم برداءته من الشعر ، لأن بيان أسباب الرداءة ايسر من بيان اسباب الجودة وقد تقدم قول الآمدي في الموازنة «وابين الرديء وارذله» .

(وانما قلت هذا لان ما يختاره الناقد الحاذق قد يتفق فيه ما لو سئل عن سبب اختياره اياه وعن الدلالة عليه لم يمكنه الجواب الا ان يقول : هكذا قضية طبعي او ارجع الى غيري ممن له الدربة والعلم بمثله فانه يحكم بمثل حكمي ، وليس كذلك ما يستلذ له الناقد او ينفيه الاختيار لأنه لا شيء من ذلك الا ويمكن التنبيه على الخلل فيه . واقامة البرهان على رداءته فاعلمه) .

مراد المؤلف بقوله « لأنه لا شيء الا ويمكن التنبيه على الخلل

فيه واقامة البرهان على رداءته فاعلمه» اظهار الفرق بين حالة الحكم بالاجادة وحالة الحكم بالرداءة فان الأولى قد يكون الرجوع فيها الى الطبع والذوق وان الثانية لا يعسر معها الاحتجاج بعلة الرداءة ، وفي هذا اشارة الى الرد على الآمدي اذ سوى بين الحالتين في الموازنة فقال : « وأذكر من علل الجميع ما ينتهي اليه التخليص وتحيط به العناية ويبقى ما لم يمكن اخراجه الى البيان ولا اظهاره بالاحتجاج وهي علة ما لا يعرف الا بالدربة ودائم التجربة وطول الملابسة وبهذا يفضل اهل الحذاقة بكل علم وصناعة من سواهم ممن نقصت قريحته وقلت دربته».

« واما قوله فاعلمه فاشارة الى ابطال قول سائله « مع انه لا فضيلة لهذا ولا نقص لهذا الا ما فاز به من الجد عند الاصطفاء والقسم » وقد اكتفى بهذه الاشارة لان فيها بسط من القول في اسباب التفاضل والاختيار غنية عن التصريح بالابطال ، وقد تقدم ذلك عند شرح قول المرزوقي « واما ما غلب على ظنك من ان اختيار الشعراء موقوف على الشهوات الخ »..

(واما تنبيك معرفة السبب في تأخر الشعراء عن مرتبة الكتاب البلغاء والعذر في قلة المترسلين وكثرة المفلقين والعلة في نباهة اولئك وخمول هؤلاء ولماذا كان اكثر المفلقين لا

يبرعون في انشاء الكتب ، واكثر المترسلين لا يفلقون في قرض الشعر. فاني اقول في كل فصل من ذلك بما يحضر والله ولي توفيقي وهو حسبي وعليه توكلي) .

جمع المؤلف هذه الاسئلة جمعاً واحداً لانه اراد الجواب عنها برمتها اذ كان بيان اسبابها آخذاً بعضه بعجز بعض كما سيأتي . واعلم ان هذا المبحث خارج عن مقام النقد الى ميدان التفاضل بين الصناعتين واهلهما اقتضاه الجواب عما اورده السائل.

(اعلم ان تأخر الشعراء عن رتبة البلغاء موجبه تاخر المنظوم عن رتبة المنثور عند العرب لامرين : احدهما ان ملوكهم قبل الاسلام وبعده كانوا يتبجحون بالخطابة والافتتان فيها ويعدونها اكمل اسباب الرئاسة وافضل آلات الزعامة فاذا وقف احدهم بين السماطين لحصول تنافر او تضاغن او تظالم او تشاجر فاحسن الاقتضاب عند البداهة وانجع في الاسهاب وقت الاطالة او اعتلى في ذروة منبر فتصرف في ضروب من تخشين القول وتليينه داعياً الى طاعة او مستصلحاً لرعية او غير ذلك مما تدعو الحاجة اليه كان ذلك ابلغ عندهم من انفاق مال عظيم وتجهيز جيش كبير) .

ابتدأ المبحث بالتفضيل بين اسلوبي الكلام : النثر والنظم، وبنى تأخر الشعراء عن رتبة الخطباء والكتاب على اساس تأخر المنظوم عن رتبة المنثور ، اذ الكتابة من صناعة النثر فهي والخطابة

من صنف واحد فاثار مبحثاً قديماً خاض فيه الادباء .

وقد احتفل به ابن الاثير في كتابه الجامع الكبير فقال : [1]

« اعلم ان الاقوال متعارضة في تفضيل كل واحد من هذين القسمين على الآخر الا ان المذهب الفحل والقول القوي هو ان الكلام المنثور افضل من الكلام المنظوم » .

واقول ان مناط التفاضل وموضوعه انما هو النثر الخاص الذي يقصد منه تأثر السامع واقناعه بغرض، وذلك هو النثر الذي يصاغ في قالب البلاغة والفصاحة كالخطب . ورسائل الادباء . والامثال . والقصص التي يقصد حفظها والتأدب بها . والاحاجي . والنكت المستظرفة. فيقصد واضعوها التأنق فيها لتكون ابقى في ذهن السامع، فليس من موضوع التفاضل ما يجري بين الناس من المخاطبات في الشؤون المعتادة والحادثات العادية ولا نحو كتابة ديوان الجند . وكتابة الاموال . والمؤلف بنى تفضيل النثر ، على ما حف بصناعته من العوارض العرفية والدينية، وذكر لتفضيل النثر على الشعر سببين وعززهما بثالث . وابن الاثير ذكر اربعة اسباب اثنان منها يتداخلان مع ما ذكر المؤلف . واثنان منها محل نظر ،وما ذكره المؤلف امتن. [2]

(١) الورقة ٣٤ من النسخة المخطوطة بالخزانة العاشورية .

(٢) قال ابن الاثير عقب كلمته التي ذكرت آنفاً « والدليل على ذلك من اربعة وجوه : الاول - ان القرآن الكريم ورد نثراً . وهو معجزة الرسول

وقول المؤلف «عن رتبة البلغاء» اراد بالبلغاء غير الشعراء، لأن الشعراء وان كانوا من اهل البلاغة الا انه لما كان لصناعة الشعر اسم خاص من بين الكلام البليغ شاع اطلاق وصف الشعراء عليهم وبقي وصف البلغاء مطلقاً على من عداهم من الخطباء والكتّاب، وهو اطلاق قديم مشهور، ومنه قول ابي العلاء المعري:

لا تطلبنّ بدون حظ رتبة ... قلم البليغ بدون حظ مغزل

يعني بالبليغ الناثر المتطلب لرتبة الكتابة الديوانية او الوزارة. وابتدأ

صلى الله عليه وسلم ومن المعلوم ان المعجزات لا تجيء الا من طريق الاصعب، ولما كان النثر من الاقوال الشاقة انزل الله القرآن الذي هو معجزة على قانونه، وايضاً فان ارباب النثر لو اريد حصرهم من اول الزمان الى وقتنا هذا لكانوا عدداً يسيراً. واما ارباب النظم فلو اريد حصرهم بل حصر اهل عصر واحد منهم لتعذر حصول ذلك، « الوجه الثاني » ان النثر ينوب مناب النظم ولا ينوب النظم مناب النثر وذلك انه اذا أخذ معنى وعبر عنه بلفظ من الكلام المنثور فانه لا يمكن التعبير عنه بمقدار ذلك اللفظ بالشعر لان الشعر يحتاج الى اقامة الوزن وهذا لا يتم الا بزيادة لفظ او نقصان لفظ، واذا زيد صار من الكلام ما لا حاجة اليه واذا نقص صار المعنى ناقصاً « الوجه الثالث » ان النثر لا ينال الا بعد تحصيل آلاته المذكورة في صدر كتابنا هذا او بعضها وذلك بخلاف النظم فانه يقوله من لم يحصل من آلاته شيئاً. — قلت — ومما يدلك على ان النثر اشق من النظم مأخذاً ان العرب كانوا افصح الناس واكثرهم قدرة على التفنن في الكلام ومع هذا فلم يسمع لاحد منهم نثر الا لقس ابن ساعدة ولأقوام آخرين وهم قليل، واما النظم فان جميع العرب كانوا يقولونه — « الوجه الرابع » ان الناثر تعلو درجته حتى ينال الوزارة للخلفاء والملوك واما الشاعر فلا تعلو درجته عن رتبة المستعطين ».

المؤلف بحالة العصر الجاهلي فقصر كلامه على الخطباء اذ لم تكن في الجاهلية رسائل .

واعتبر المؤلف من عصر الجاهليـة العصر الذي عني الادبـاء بتدوين آثاره دون ما قبل ذلك، فقد قيل انه مضى عصر كان الشاعر فيه يعد ارفع منزلة من الخطيب . قال ابن رشيق في العمدة في باب التكسب بالشعر «ان الشاعر كان في مبتدا الامر ارفـع منزلة مـن الخطيب لحاجتهم الى الشعر في تخليد المآثر وشدة العارضة وحماية العشيرة وتهييبهم عند شاعر غيرهم من القبايل ، فلا يقـدم عليهم خوفاً من شاعرهم على نفسه وقبيلته .فلما تكسبوا به وجعلوه طعماً ، وتولوا به الاعراض وتناولوها ،صارت الخطابة فوقه» وهو مأخوذ من كلام الجاحظ عن ابي عمرو بن العلاء كما سيأتي قريباً.ووقع في كلام المؤلف لفظ **الزعامة** وهي الشرف وسيادة القوم . ووقع فيـه لفظ السماطين وهو تثنية سماط بكسر السين وهو الصنف ، واراد سمـاطي المجمع من الناس، اذ يقف كل شيعة سماطاً مقـابـل سماط ضدهم ، ووقع مثل هذا اللفظ في البيان والتبيين للجاحظ في باب « ذكر ناس من البلغاء والخطباء» .ووقع فيه لفظ **الاقتضاب** وهو القطع ،واستعاره للكلام الفصل الذي هو كالحكم .

(وكانوا يأنفون من الاشتهار بقرض الشعر ويعده ملوكهم

دناءة ؛وقد كان لامرىء القيس في الجاهلية مع ابيه حجر بن عمرو حين تعاطى قول الشعر فنهاه عنه وقتاً بعد وقت، حالاً بعد حال ما اخرجه ،الى ان امر بقتله وقصته مشهورة فهذا واحد،)

عَدّ المؤلف انفة سادة العرب في الجاهلية من الاشتهار بقرض الشعر تكملة للامر الأول من اسباب تأخر الشعراء عن رتبة الكتاب،وهو عنايتهم بالخطابة على نحو عنايتهم بعد عصر الجاهلية بالكتابة ؛وكان الأولى للمؤلف ان يجعله من جملة الامر الثاني لأن الأنفة من قرض الشعر عندهم اوجبها اعتياد الشعراء التلبس بالاحوال التي هي من شأن اهل البطالة،والتي لا تليق بالسؤدد في عرف زمانهم؛ومن ذلك ما سيذكره المؤلف عند تعرضه لأحوال الشعراء في مقابلة احوال الكتاب ،اذ لا فرق في تلك الاحوال بين شعراء الجاهلية وشعراء الأسلام، وما قصة امرىء القيس مع أبيه الا من ذلك القبيل ،فكان الوجه تأخير هذا ليستقيم قول المؤلف فهذا واحد . وأشار المؤلف الى قضية امرىء القيس مع أبيه حجر ملك بني أسد ، وحاصلها حسبما يؤخذ من كتاب الشعراء لابن قتيبة والأغاني [1] وصبح الأعشى [2] كانت الملوك تأنف قول الشعر ،وكان امرؤ القيس يخالط شذاذ العرب

---

(١) صفحة ٦٨ جزء ٨ طبع بولاق .

(٢) صفحة ٦٠ جزء ١ .

من طيء وكلب وبكر بن وائل ، وكان قد عشق فاطمة التي لقبها عُنيزةَ ، وكان يطلبها زماناً ويطلب منها غِرّةً الى ان أصاب منها غِرّة يوم الغدير ، بدارة جُلجلٍ وقال فيهـــا القصيدة المشهورة «قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل» فلما بلغ ذلك أباه حجراً بن عمرو وهو ملك بني اسد نهاه واغلظ له وتوعده بالقتل فلم ينتـــه فطرده من وجهه وقيل ان حجراً سمع امرأ القيس يترنم في مجلس بقوله :

أسقيا حجراً على علاتـــه من كميت لونها لون العلق

فهم بقتله ولعل القصص متعددة (**والثاني انهم اتخذوا الشعر كمكسبة وتجارة وتوصلوا به الى السُّوَق. كما توصلوا بـه الى العلية ،وتعرضوا لأعراض الناس فوصفوا اللئيم عند الطمع فيه بوصف الكريم ، والكريم عند تأخر صلته بصفة اللئيم حتى قيل: الشعر أدنى مروءة السَّريّ واسرى مروءة الدَّني . فهـــذا الباب امره ظاهر . واذا كان شرف الصانع بمقدار شرف صناعته وكان النظام متأخراً عن رتبة النثر وجب ان يكون الشاعـر ايضاً متخلفاً عن غاية البليـغ**) .

يعني ان الشعراء في الجاهلية اتخذوا الشعر مَكسِبة وتعرضوا به للعطاء ، مثل الأعشى والنابغة الذبياني وزهـيرٍ فغضَّ منهم . وفي

صبح الأعشى [1] في مواد البيان «يروى ان النابغة الجعدي كان سيداً في قومه لا يقطعون امراً دونه ، وان قول الشعر نقصه وحط رتبته . وبعضهم تعرض به الى اعراض الناس بالطعن في الهجاء مثل الزبير بن عبد المطلب والحطيئة ، اي فكره الناس ذلك منهم . وسكت المؤلف عن الذين اتخذوه للغزل واللهو فشغلهم عن عظائم الأمور . والحاصل ان في نحلة الشعر ما كان مجلبة للغض من اصحابه بالرغم على ما يعترف لهم به الناس من حسن البيان، فقول من قال الشعر ادنى مروءة السري واسرى مروءة الدني : قول صادر عمن لحظ من الشعر بعض عوارضه ، والا فقد كانوا يعدون الشاعر ينافح عن القبيلة ويرفع من ذكرها ،فقيل كانوا يولون اذا نبغ فيهم شاعر ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « ان من الشعر لحكمة » وقد تصدى عبد القاهر في اول دلائل الاعجاز لابطال شُبَه من ساء اعتقادهم في الشعر فانظُرْه . قال الجاحظ في كتاب البيان والتبيين [2]: قال ابو عمرو بن العلاء ـ كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب بفرط حاجتهم الى الشعر الذي يقيد عليهم مآثرهم ويُفَخّم شأنهم ، ويهوّل على عدوهم ومن غزاهم ،

---

١ – صفحة ٦١ جزء ١.

٢ – ج ١ صفحة ١٧٠ طبع المطبعة الرحمانية على تحريف في كنيته .

ويُهيب من فرسانهم ، ويخوِّف من كثرة عددهم ، ويهابهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرَهم ، فلما كثر الشعر والشعراء واتخذوا الشعر مَكْسِبَة و رحلوا الى السُّوقة وتسرعوا الى اعراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعر ، ولذا قال الاوَّل « الشعر ادنى مروءة السري واسرى مروءة الدني . ولقد وضع الشعر من قدر النابغة الذبياني ولو كان في الدهر الاول ما زاده ذلك الا رفعة اهـ) وقولهم ادنى مروءة السري هو من الدناءة بمعنى الحطة اي هو احط مروءة السري اي الشريف ؛ فالمروءة اجتماع الصفات التي تعتبر في الرجال، وقد اشتقت من لفظ المرء كما اشتقت الرُّجْلة من لفظ الرَّجُل، فالشعر من المزايا التي يمتاز بها صاحبها ، اذ لا يحصل لكل واحد فجعلوه اقل كمالات الانسان الشريف، وجعلوه اشرف كمالات الدني، وحسبك بهذا ثناء عليه، ولكن غرض المؤلف التنبيه الى أعراض اوجبت تنقص الشعر وأن النثر سالم من تلك الأعراض، وانه وان شغل اصحابه عن عظائم الامور لم يَخْلُ من افادتهم قبولاً في قومهم ونفعاً يجره اليهم، وقد قال بعض شعراء بكر بن وائل :

أَلهى بني تَغْلِبٍ عن كلِّ مكرُمَة قصيدةٌ قالها عَمرو بن كلثوم
يفاخِرون بها مذ كانَ اوَّلُهُم يا للرِّجال لِشِعْرٍ غيرِ مَسْئُوم

ووقع في كلام المؤلف لفظ مَكسِبة وهو بفتح الميم وكسر السين

اسم مصدر لمعنى الكسب اي سبب كسب . ووقع في كلامه لفظ السُّوَق وهو بضم السين وفتح الواو بوزن صرد اسم جمع سوقة والسوقة اسم للجماعة المنسوبة الى السوق وهم العامة من الناس . والعِلية بكسر العين وسكون اللام الجماعة المتاون . اهل الرفعة والخصوصية .

(ومما يدل على ان النثر اشرف من النظم ان الاعجاز من الله تعالى جده والتحدي من الرسول عليه السلام وقعا فيــه دون النظم يكشف ذلك ان معجزات الانبياء عليهم السلام في اوقاتهم كانت من جنس ما كانت اممهم يولعون بـــه في حينهم ويغلب على طبائعهم ، وباشرف ذلك الجنس . على ذلك كانت معجزة موسى عليه السلام لانها ظهرت عليه وزمنــه زمن السحر والسحرة فصارت من ذلك الجنس وباشرفه .

وكذلك كان حال عيسى عليه السلام ، لأن زمنه كان زمن الطب فكانت معجزته ، وهي إحياء الموتى ، من ذلك الجنس وبأشرفه .

فلما كان زمن النبي صلى الله عليه وسلم زمن الفصاحة والبيان جعل الله معجزته من جنس ما كانوا يولعون به وباشرفه ، فتحداهم بالقرآن كلاماً منثوراً لا شعراً منظوماً ؛ وقد قال الله عز وجل في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم :

« وما علمناه الشعر وما ينبغي له » وقال ايضاً : « والشعراء يتبعهم الغاوون ، الم تر انهم في كل واد يهيمون ، وانهم يقولون ما لا يفعلون » .

ولما كان الامر على ما بيناه وجب ان يكون النثر ارفـع شأناً واعلى سمكاً وبناء من النظم وان يكون مزاوله كذلك .

اعتبارا بسائر الصناعات وبمزاوليها)

ساق المؤلف هذا الكلام كتكملة للسبب الثاني في تفضيل النثر على الشعر، وكان حقه ان يجعل سبباً ثالثاً، فقد عده ابن الاثير في الجامع الكبير سبباً مستقلاً . وهو ايضاً راجع الى التفاضل بين الصناعتين خارج عن مقام النقد ، وحاصل بهذا ان فضل النثر على الشعر ثبت له من عهد الجاهلية وعززه الاسلام .

وفي نسخة الاستانة بعد قوله «على ان النثر اشرف من النظم» زيادة: « وان النظم اقصر درجة من النثر » ، وهي مستغنى عنها .

(واما السبب في قلة المترسلين وكثرة المفلقين وعز من جمع بين النوعين مبرزاً فيهما، فهو ان مبنى الترسل على ان يكون واضح المنهج سهل المعنى ممتد الباع واسع النطاق تدل لوائحه على حقائقه وظواهره على بواطنه ؛ اذ كان مورده على اسماع مفترقة من خاصي وعامي ، وافهام مختلفة من ذكي وغبي فمتى كان متسهلاً متساوقاً ومتسلسلاً متجاوباً تساوت الآذان في تلقيه ، والأفهام في درايته والالسن في روايته فيسمح شارده اذا استدعي، ويتعجل وافده اذا استدني ، وإن تطاول أنفاس فصوله وتباعد اطراف حزونه وسهوله .

ومبنى الشعر على العكس من جميع ذلك لانه بني على اوزان مقدرة، وحدود مقسمة، وقوافٍ يساق ما قبلها اليها مهيأة، وعلى ان يقوم كل بيت بنفسه غير مفتقر الى غيره الا ان يكون

مضمناً باخيه وهو عيب فيه — فلما كان مداه لا يمتد باكثر من مقـــدار عروضه وضربه، وكلاهما قليل ، وكان الشاعر يعمل قصيدته بيتاً بيتاً ، وكل بيت يتقاضاه بالاتحاد، وجب ان يكون الفضل في اكثر الاحوال في المعنى، وان يبلغ الشاعر في تلطيفه والاخـذ من حواشيه حتى يتسع له اللفظ فيؤديه على غموضه وخفائه حداً يصير المدرك له والمشرف عليـه كالفائز بذخيرة اغتنمها، والظافر بدفينة استخرجها؛ وفي مثل ذلك يحسن انحاء الاثر وتباطؤ المطلوب على المنتظر ، فكل ما يحمد في الترسل ويختار، يذم في الشعر ويرفض .

فلما اختلف المبنيان كما بينا، وكان المتولي لكل واحد منهما يختار ابعد الغايات لنفسه فيه، اختلفت فيهما الاصابتـان لتباين طرفيهما وتفاوت قطريهما فبعد على القرائح الجمع بينهما) .

انتقل المؤلف الى بيان فضل النثر البليغ على الشعر البليغ في عصور دول الاسلام، وجمع هنا الجواب عن مسألتين : مسألة السبب في قلة المترسلين من الكتاب وكثرة المفلقين من الشعراء ، ومسألة السبب في عزة من يجمع بين الترسل والشعر .

وابتدأ بجواب المسألة الثانية في سبب عزة الجمع بين الترسل والشعر، على عكس الترتيب الطبيعي في مسايرة كلام السائل، لأن في الجواب عنها ما يكون تأصيلاً للجواب عن المسألة الاولى بقوله : « فهو ان مبنى الترسل، الى قوله : اولى واخص» . وحاصل السبب

ان مقتضى الصناعتين مختلف ،فكان ذلك الاختلاف سبباً في ندرة العقول التي تجيد كلتا الصناعتين لان العناية باحـد الاسلو بين و اجادته تباعـــــد الفكر عن الاهتمام بالآخر والاشتغال به ، والانصراف والتوجـه الى احـدى الصناعتين ، حتى تستولي على الذهن ، هو امر يتبع اختلاف توجه النفوس وميلها.وقوله:فيَسمح شارده اذا استدعي . وَيتعَجَّل وافـده اذا استدني » بفتح حرف المضارعة في يسمح و يتعجل مبنيين الى الفاعل ،واراد بالشارد المعنى العزيز الممتنع، وبالوافد المعنى السهل ؛استعار الشارد للنادر لشبهه في قلة حضوره . واستعار الوافـد للسهل لانه كالذي يأتي بدون استدعاء ، واستعار لمحاولة اختراع المعنى النادر وللتمكن من تقو يمه في الذهن فعلي الاستدعاء والسماح ، و استعار لابراز المعنى السهل بعد خطوره في الذهن فعلي التعجل والاستدناء ، لأن الوافد يستدنى للإكرام والقرى .

وقو له : و ان تطاول انفاسُ فصوله الخ .. مبالغة في احوال تأثير الترسل على الاسماع والافهام ، اي تساوت الافهام في درايته والالسن في روايته في جميع الاحوال حتى في حالة طول فقراته . و بعد ما بين اوائل قرائنه واواخرها فالواو في كلامه واو الحال ، وحرف انْ وصلية مثل لو الوصلية كما هي في قول عمرو بن معديكرب:

ليس الجمـــال بمئزر فاعلم و إنْ رُديتَ بُردا

وضمائر فصوله وحزونه وسهوله عائدة الى الترسل . واثبت للفصول انفاساً على طريقة المجاز العقلي ، وانما هي انفاس الكاتب والتالي لذلك الترسل . وجعل للترسل حزونا وسهولا استعارة لاوائل الترسل واواخره أوائل كل فقرة منه واواخرها ، لان اول الشيء يشبه أعلى الاكمة وآخره يشبه السهل من الجبل . وعطف (وعَزّ) على (قلة وكثرة) عطف الفعل على الاسم الشبيه بالفعل وهو كثير . وجرد (تطاول) من تاء التانيث لان فاعله وهو انفاس جمع تكسير فيجوز فيه حذف التاء .

وقول المؤلف : « الا ان يكون مضمنا باخيه وهو عيب فيه » اشار الى ما يسمى عند علماء العروض بالتضمين وهو ان يتوقف فهم معنى البيت على معرفة الذي بعده،وهو عيب في الشعر العربي، ومع ذلك وقع في شعر فحول الشعراء. ووقع للنابغة في عدة قصائد كقوله :

فهم درعي التي استلأمت فيها وهم اصحاب يوم عكاظ إني
شهدتُ لهم مواطنَ صادقاتٍ شهدن لهم بصدق الود مني

وقوله (وكل بيت يتقاضاه بالاتحاد) وقع في نسخة الاستانة مخالفة بالترتيب وبالاعجام فكتب « يتقاضاه كل بيت بالاتحاذ »

بتقديم يتقاضاه وبالخاء والذال المعجمتين والمعنى على نسختي المهملتين ان كل بيت يطالب الشاعر بان يجعله متحداً مع الابيات اقرانه، ففي ذلك التقاضي زيادة كلفة للشاعر وعمل ليناسب بين البيت واخيه، كما قال رؤبة(قد قلتَ لو كان له قِرانُ) فتأمل .

واما الاتخاذ بالمعجمتين فلا يظهر له معنى ،لأن الشاعر اذا نظم البيت فقد اتخذه ، فهذا تحصيل حاصل ؛ وقوله«وفي مثل ذلك يحسن امحاء الأثر . وتباطوء المطلوب على المنتظر » امحاء الأثر هو زوال آثار السائرين في الطريق ،وهو كناية عن كثرة الترداد على الطريق حتى لا تبين فيه آثار أقـــدام معينة ، وقدجعله تمثيلاً لحالة وفرة المحاولين لانتزاع المعاني وتهذيبها وافراغها في قوالب النظم بحـالة كثرة السائرين في جادة الطريق حتى تصير الطريق صابة لا تظهر فيها آثار اقدام السائرين ولا سنابك الركاب . كما يقال: بيض الطرائق ، والمعنى ان في هذا العمل ومثله يحسن الدأب على الطلب ومحـاولة الظفر بالغاية .

وقوله « وتباطوء المطلوب على المنتظر » اي هذا تباطوء حسن غير مذموم،وانتظار لذيذ لأجل ما يجده المنتظر في اثنـاء انتظاره من توسم نوال غنم نفيس وظهور بشائر اقترابه كما قال ابو الطيب :

ومن الخير بُطء سيبك عني   أسْرعُ السُّحب في المسير الجَهامُ

(يكشف ذلك ان الرجز وان خالف القصيد مخالفة قريبة ترجع الى تقطيع شأو اللفظ فيه وتزاحم السجع عليه قلّ عدد الجامعين بينهما لتقاصر الطباع عن الاحاطة بهما. فاذا كان الرجز والقصيد مع انهما من واد واحد - افضت الحال بتعاطيهما الى ما قلتُ على خلاف يسير بينهما، فالنثر والنظم - وهما في طرفين ضدين، وعلى حالتين متباينتين - اولى واخص) كان العرب قد خصوا الرجز باغراض غير مهمة وهي الحداء والمتح على المياه وترقيص الامهات اطفالهن . وكانوا ينظمونه على حالة عَجْلة وكيفما اتفق، فلذلك لم يكن يعبأ به الشعراء ، وربما ارتجز البطل عند الخروج الى صف المقاتلة يُرهب الناس بما يذكره من بأسه ؛ الى ان ظهر منهم الرُّجّاز المجيدون مثل العجاج وابنه رؤبة وابنه عقبة وابي النجم ، وكانوا كلهم من اهل البداوة فبقي الرجز شعار الاديب البدوي ولم يبرز فيه اهل الحضر ، وقد عد من مقدرة بشار بن برد أنه ارتجز باراجيز فاق فيها مشاهير الرجاز مثل ارجوزته الطويلة :

يا طلل الحي بذات الصمد بالله حدِّثْ كيف عُدْت بعدي

وقصته فيها مع عقبة ابن رؤية مذكورة في ترجمة بشار .

(واما السبب في قلة البلغاء وكثرة الشعراء ونباهة اولئك وخمول هؤلاء) هذا جواب عن المسألة الاولى في كلام السائل ، واراد بالبلغاء الكتاب البلغاء كما يبينه قوله « وكثرة الشعراء »

وقوله « منها ان المترسل محتاج الخ » ويبينه ايضـــاً انه موضوع البحث لقوله في حكاية السؤال « معرفة السبب في تأخر الشعراء عن رتبة الكتاب والعذر في قلة المترسلين وكثرة المفلقين »وقد تقدم وجه هذه العبارة عند شرح قوله « اعلم ان تأخر الشعراء عن رتبة البلغاء الخ .» وكانّ اللام في البلغاء للعهد ، لانه لما ذكر في صـــدر المقدمة رغبة السائل الكشف عما تحَير فيه قال هنالك« وقلت ايضاً اتمنى ان اعرف السبب في تأخر الشعراء عن رتبة الكتاب البلغاء » وسبب ذلـك كله ان اغلب المترسلين كانوا في عداد كتاب الدولة فصار الترسل مقارنا في الاذهان بصناعـة الكتاب التي لها نباهة في الدولة ،ولذلك لم يتعرض المؤلف للخطباء في الاسلام اكتفاء بما ذكره من فضل الخطابة في العصر الجاهلي واعتداداً بان الكتابة غطت على الخطابـة وغمرتها بين اهـل الدولة . **والنباهـة** . مصدر نبُه بضم الباء ويجوز فيها الفتح والكسر وهي الشرف وعلو القدر . **والخمُول** ضد النباهة ، ولم يصرّح بحركة الخاء منه ولكن قياسه ضم الخاء لان مصدر فعَل المفتوح العين اللازم يكون على وزن فُعول بضم الفاء باطراد إلا في افعال الامتناع وافعال الاضطراب وافعال الادواء .

(فهو ان المترسل محتاج الى مراعاة امور كثيرة ان اهملها او اهمل شيئاً منها رجعت النقيصة اليه وتوجهت اللائمة عليه)

يبين كلام المؤلف هنا كلام صدر عن ابن الاثير في الفصل الثاني من مقدمة المثل السائر اذ قال « وقد قيل : ينبغي للكاتب ان يتعلق بكل علم حتى قيل كل ذي علم يسوغ له ان ينسب نفسه اليه فيقول فلان النحوي وفلان الفقيه وفلان المتكلم ولا يسوغ له ان ينسب نفسه الى الكتابة وذلك لما يفتقر اليه من الخواص في كل فن.

وذكر ابن الاثير ان فن الكتابة يفتقر الى سبعة انواع من الآلات . هي علوم العربية . وعلم اللغة وامثال العرب . والاطلاع على تآليف من تقدمه من ارباب الصناعة المنظومة والمنثورة . ومعرفة الاحكام السلطانية . وحفظ القرآن . وحفظ ما يحتاج اليه من الاخبار الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم . وقال القلقشندي في صبح الاعشى « ان كاتب الانشاء في الحقيقة لا يستغني عن علم ولا يسعه الوقوف عند فن » وعلى هذا الاعتبار توسع القلقشندي فألف كتابه صبح الاعشى في كتابة الانشاء في عشرين جزءاً . وقال[1] : «واعلم ان كاتب الانشاء وان كان يحتاج الى التعلق بجميع العلوم فليس احتياجه الى ذلك على حد واحد بل منها ما يحتاج اليه بطريق الذات وهي مواد الانشاء التي يستمد منها كاللغة والنحو والبلاغة ،ومنها ما يحتاج اليه بطريق العرض كالطب والهندسة فأنه

(١) صفحة ١٤٦ جزء ١.

يحتاج الى الالفاظ الدائرة بين اهل كل علم ، والى معرفة المشهورين من اهله ومشاهير الكتب المصنفة فيه ، بل ربما احتاج الى معرفة مصطلح سفل الناس لكتابة امور هزلية الخ » وهذا الكلام تقييد لا طلاق كلام ابن الاثير .

واقول ان الكتاب المشروطة فيهم هذه الشروط هم كتاب الرسائل السلطانية ومن كان في مرتبتهم، وهم الذين منهم تختار الوزراء دون اصناف آخرين من الكتاب ، مثل القاضي وكاتب الخراج وكاتب الجند وكاتب الحساب وغيرهم ، وهم مراتب وشروطهم كذلك ، وهي منحصرة فيما به اجادة عملهم . (١)

(منها تبين مقادير من يكتب عنه واليه ، حتى لا يرفع وضيعاً – ومنها وزن الالفاظ التي يستعملها في تصاريفه حتى تجيء لائقة بمن يخاطب بها مفخمة لحضرة سلطانه التي يصدر عنها – ومنها ان يعرف احوال الزمان وعوارض الحدثان فيتصرف معها على مقاديرها في النقض والابرام ، والبسط والانقباض – ومنها ان يعلم اوقات الاسهاب والتطويل والايجاز والتخفيف ، فقد يتفق ما يحتاج فيه الى الاكثار حتى يستغرق في الرسالة الواحدة اقدار القصائد الطويلة ، ويتفق ايضاً ما تغني فيه الاشارة وما يجري مجرى الوحي في الدلالة – ومنها ان يعرف من احكام الشريعة ما يقف به على سواء السبيل فلا يشتط في الحكومة ، ولا يعدل

---

(١) انظر صبح الاعشى صفحة ١٤٣ جزء ١ .

فيما يخط عن المحجة ، فهو انما يترسل في عهود الولاة والقضاة ، وتأكيد البَيعة والايمان ، وعمارة البلدان ، واصلاح فساد ، وتحريض على جهاد ، وسد ثغور ، ورتق فتوق ، واحتجاج على فئة او مجادلة لملة ، او دعاء الى الفة او نهي عن فرقة ، او تهنئة بعطية ، او تعزية برزية او ما شاكل ذلك من جلائل الخطوب وعظائم الشؤون التي يحتاج فيها الى ادوات كثيرة ومعرفة مفتنّة) .

اشار الى اشد ما يحتاج اليه كاتب الانشاء وهو اهم ما ذكره صاحب صبح الاعشي المتقدم آنفاً، ومرجع ذلك كله الى ان يكون ما يصدر عن الكاتب مصادفاً الصواب ، سالماً من ان يَرِد عليه طعنٌ او تخطئة، لأنه ان عُرِّضَت الدولة الى الطعن او التخطئة فيما يصدر عنه زالت حرمة السلطان او نسب الى الجور . واراد باحوال الزمان احوال الناس في زمانه ليخاطبهم بما يناسب عقولهم ولا يحملهم على ما يعدُّونه ارهاقاً واعناتاً .

والمراد بالنقض ابطال عمل عمله الناس او تغيير سيرة او منعهم مما يريدونه. والمراد بالابرام الالزام بفعل، والحملُ على سيرة خاصة؛ شبَّه الالزام بفتل الحبل وهو الابرام وشبه الابطال بحل الحبل المفتول ، قال تعالى « كالتي نقضت غزلها » .

والبسط هو التوسعة في شيء واظهار الرضا عن حال.

والانقباضُ التضييق في التصرف واظهار الكراهية من شيء . والاسهاب اكثار الكلام، اي الاكثار في عبارات الرسالة، واراد به الأطناب لأنه قابله بالإيجاز وهما وصفان للتراكيب كما هو معلوم في علم المعاني . والتطويل تطويل الرسالة باكثار الاغراض او بالاستطراد ونحوه، ويقابله التخفيف ،وهو الاقتصار على اقل ما يلزم في الغرض . وقول المؤلف « فهو انما يترسل الخ » تفريع على ما ذكره من قوله « فهو ان المترسل محتاج الى امور كثيرة الخ » اتى به كالدليل على ذلك الاحتياج ، ولذلك ختمه بقوله « التي يحتاج فيها الى ادوات كثيرة ومعرفة مفتنة » .

(فلما كان الامر على هذا صار وجوه المضطلعين بجودة النثر اعز وعددهم انزر ، وقد وسمتهم الكتابة بشرفها وبوأتهم منزلة رئاستها فاخطارهم عالية ، بحسب علو صناعتهم ومعاقد رئاستهم وشدة الفاقة الى كفايتهم) جعل السبب في قلة الكتاب هو السبب ايضاً في رفعة شأنهم ،وقد يكون للسبب الواحد مسببان فاكثر،وحاجة السلاطين والأمراء والسادة الى الكتّاب معلومة،وفي تضاعيف شواهد التاريخ منها كثير . وقصة غَناء عبد الله بن المقفع الكاتب عن مخدومه علي بن عبدالله بن عباس في صدّه كيدَ السفاح عنه بما كتبه له من صيغة الأمان الذي رضي السفاح ببذله لعمه علي بن

عبدالله بن عباس مذكورة في ترجمة ابن المقفع ، و يقال هي كانت سبب نكبة ابن المقفع . وذكر الحريري في المقامة ٢٢ بعض مـزايا الكتاب اهل الإنشاء، و بعض وجوه الحاجة اليهم فقال « والمنشيء جهينة الأخبار . وحقيبة الأسرار . و نجي العظماء . وكبير الندماء . وقلمه لسان الدولة . وفارس الجولة . ولقمان الحكمة . وترجمان الهمة . وهو البشير النذير . والشفيع السفير . به تستخلص الصياصي . وتملك النواصي . و يقتاد العاصي . ويستدنى القاصي . وصاحبه بريء من التبعات . امن كيد السعاة » .

وفي صبح الأعشى «من كلام ابي جعفر الفضل بن احمـد : «للكتّاب أقرّت الملوك بالفاقة والحاجة . واليهم ألقـوا الأعنـة والأزمة . وبهم اعتصموا في النازلة والنكبـة . وعليهم اتكـلوا في الأهل والولد . والذخائر والعقد . وولاية العهد . وتدبير الملك وقراع الأعداء . وتوفير الفيء . وحياطة الحريم . وحفظ الأسرار . وترتيب المراتب ونظم الحروب» .

(والشعراء انما اغراضهم التي يسددون نحوها . وغاياتهم التي ينزعون اليها . وصف الديار والآثار . والحنـين الى المعــاهد والأوطان . والتشبيب بالنساء والتلطيف في الاجتداء والتفنن في المديح والهجاء، والمبالغة في التشبيه والاوصاف فاذا كان كذلك لم يتدانوا في المضار ولا تقاربوا في الأقدار . واذ قد

اتينا بما اردنا، ووفينا بما وعدنا، فانانشتغل بماهوالقصد من شرح الاختيار، والله الموفق للصواب، والصلاة والسلام على رسوله وآله الاخيار) أشار الى ان اغراض الشعراء وان كانت رائقة للنفوس ومرغوبة عند اهل الذوق السليم فان للكتاب المرتبة المهيبة والآثار العجيبة .

انتهـــى طبع هذا الكتاب .
في رجب ١٣٩٨ / جويلية ١٩٧٨
بمطبعـــــة
فـــن الـــرسم الصناعـــي
ـــ تـــــونس ـــ

عـــدد الناشـــر : ٧٨ ـــ ٢٨ ـــ ١٠٠